

## المزاح والدعابة في الإسلام قراءة في فقه السيرة ودعابة الصحابة والتابعين ومزاحهم

بقلم: د. التاه بن محمد بن احمد ❖

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،  
وعلى آله وصحابه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.  
وبعد؛

فإنّ هذا المقال يسعى إلى مقارنة موضوع المزاح والدعابة من خلال  
الوقوف مع نماذج من أدب السيرة النبوية العطرة، وما أثر عن الصحابة  
-رضوان الله تعالى عليهم- والتابعين -رحمهم الله- بهذا الخصوص.  
وبما أنّ أفعالنا نحن المسلمين ينبغي أن تكون مقيّدة بالشريعة المحمدية  
والسنة النبوية، متأسية بالصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- والتابعين  
-رحمهم الله- فقد أردنا أن نعالج في هذه الصفحات موضوع: (المزاح  
والدعابة في الإسلام "قراءة في فقه السيرة ودعابة الصحابة والتابعين  
ومزاحهم") علّنا أن نقتدي بهم ونتأسى بهديهم الرائد في ذلك المنوال.

وتبرز أهمية الموضوع أولاً من خلال ندرة ما كتب عنه، إذ الندرة هي جوهر الغلاء، وفي تشتت ذلك المكتوب القليل ثانياً، أما ندرة الموضوع فتظهر لنا من أنّ الدراسات حول هذا الموضوع تكاد تنعدم إذا ما استثنينا مرجعاً أو اثنين مما وصلت إليه أيدينا، غير أنه يلاحظ على هذين المرجعين أنّ جلّ تركيزهما كان منصباً على نقل بعض الحوادث والروايات بشكل سردي دون صياغتها في قالب منهجي، يمكن الباحثين من الاستفادة منها بالشكل الذي يجب.

أما تشتته فيبدو جلياً في كون كتب الشمائل والأخلاق والتراجم، وإن كانت تتحدث ضمن بعض مباحثها عن مزاح النبي ﷺ والصحابة والتابعين، إلا أنها لا تتوقف عنده بالتفصيل الكافي، وإنما تشير إليه مجرد إشارات خاطفة، وتمرّ عليه مرور السحب العاصفة، الأمر الذي يجعل من الأهمية بمكان محاولة جمع تلك الإشارات في صعيد واحد؛ لتسهيل الاستفادة منها من الناحية المنهجية.

والإشكالية التي تعالج هذا الموضوع تتعلق بمنزلة المزاح في التراث الإسلامي (عند النبي ﷺ والصحابة والتابعين) ومقارنتها مع ما عليه الأمر عند الأقدمين والمعاصرين.

فماذا إذن عن دلالة المزاح وما هي الألفاظ المشابهة له في المعنى؟ وكيف نظر الشارع إليه؟ ثم ما هي أبرز النظريات حوله؟ وهل كان الرسول ﷺ والصحابة والتابعون يمزحون، وكيف كان ذلك؟ وما أبرز التطبيقات والنماذج المروية عنهم فيه؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال اعتمادنا للمنهج المقارن ؛ لأنه بدون المقارنة يفقد العقل سبيله ، بيد أننا لن نقتصر عليه وحده بل سنلجأ إلى المزج بينه وبين المنهج التحليلي ؛ لكون هذا الأخير له العديد من المميزات ، من حيث قدرته على استخلاص النتائج والعبر من النماذج التي سترد معنا ، مما أثر عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين من مزاح وفكاهات .

وستتناول هذا الموضوع من خلال أربعة محاور : نخصص الأول منها للحديث عن مفهوم المزاح ودلالته اللغوية ، بينما نخصص الثاني لمقاربة المزاح من الناحية الاصطلاحية والشرعية ، في حين سنتناول في المحور الثالث نماذج من مزاح النبي ﷺ لنختم بالتعرض لنماذج من مزاح الصحابة والتابعين - رضوان الله تعالى عليهم - في المحور الرابع والأخير .

وبالتالي فإنّ محاور هذه الدراسة ستكون على الشكل الآتي :

✓ المحور الأول : المزاح : وقفة مع المفهوم والدلالة اللغوية

✓ المحور الثاني : المزاح بين المقاربة الاصطلاحية والشرعية

✓ المحور الثالث : نماذج من مزاح النبي ﷺ

✓ المحور الرابع : المزاح والمداعبات عند الصحابة والتابعين

### المحور الأول : المزاح : المفهوم والدلالة اللغوية

قبل البدء في أي دراسة جادة لا بد من تحديد المفاهيم التي تدور حولها ، لكي يكون المنطلق صحيحاً ومفيداً ؛ لذلك سأبدأ بتعريف المزاح في اللغة ، مع ذكر بعض الألفاظ المشابهة له في المعنى . حتى تتضح دلالاته

ويمتاز عن غيره، الأمر الذي لن يتأتى إلا بمقارنته مع بعض الألفاظ القريبة منه في المفهوم والدلالة، ونظراً لكون تلك الألفاظ كثيرة جداً بحيث لا يتسع المقام لاستقصائها، ومنها على سبيل المثال (الدعابة، الملاعبة، المفاكهة، المباسطة، الملاطفة، المضاحكة، التحييض...) فإننا سنقتصر هنا على ثلاثة من هذه الألفاظ باعتبارها هي الأشهر والأكثر تداولاً وهي (الدعابة، الفكاهة، الملاعبة) وسنتحدث عن مفهوم المزاح (أولاً) قبل أن نعرِّج على مفهوم الدعابة (ثانياً) ثم نتحدث عن مفهوم الفكاهة (ثالثاً) لنختم بمفهوم الملاعبة (رابعاً).

### أولاً: المزاح في اللغة

المزاح في اللغة: قال عنه الجوهري (ت ٣٩٣هـ) في "الصحاح": المزاح بالكسر مصدر مازحه، والمزاح بالضم والمزاحة أيضاً أسماء للمصدر<sup>(١)</sup>. وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ) في "لسان العرب": إن المزح هو الدعابة، قال: وفي المحكم، المزح نقيض الجد<sup>(٢)</sup>.

وقال الفيروزآبادي (ت ٧٩٦هـ) في "القاموس المحيط": مَزَحَ كَمَنَعَ مَزْحًا وَمُزَاحَةً وَمُزَاحًا بضمهما، وهما اسمان دعب، ومازحه مِمزَاحَةً وَمِمزَاحًا بالكسر<sup>(٣)</sup>.

والمزاح بالضم مصدر سماعي والقياس الكسر؛ لقول ابن مالك في ألفيته<sup>(٤)</sup>:

لِفَاعِلِ الْفِعَالِ وَالْمُفَاعَلَةِ

وقد ورد المزاح كثيراً في كتب الأدب، فقد تغنى به الشعراء، وتحدث

عنه الحكماء، فمن ذلك قول أبي الفتح البستي<sup>(٥)</sup> :  
أفد طبعك المكدود بالجدد راحةً      يجمّ وعلله بشيءٍ من المزح  
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن      بمقدار ما تُعطي الطعام من الملح  
وقال بعض الحكماء: خير المزاح لا ينال، وشره لا يقال، فنظمه  
النيسابوري في قصيدته الجامعة للأداب فقال<sup>(٦)</sup> :

شَرُّ مَزَاحِ الْمَرْءِ لَا يُقَالُ      وَخَيْرُهُ يَا صَاحَّ لَا يُنَالُ  
وَقَدْ يُقَالُ كَثْرَةُ الْمَزَاحِ      مِنْ الْفَتَى تَدْعُو إِلَى التَّلَاحِي  
إِنَّ الْمَزَاحَ بَدْوُهُ حَلَاوُهُ      لَكِنَّمَا آخِرُهُ عَدَاوُهُ  
يَحْقِدُ مِنْهُ الرَّجُلُ الشَّرِيفُ      وَيَجْتَرِي بِسُخْفِهِ السَّخِيفُ

#### ثانياً: الدعابة في اللغة

**الدعابة:** وهي مأخوذة من دَعَبَ كمنع، قال الجوهري: (ت ٣٩٣هـ)  
الدعابة: المزاح، وقد دعب دَعَابَ لَعَابٌ، والمداعبة الممازحة<sup>(٧)</sup>.  
وقال الزمخشري: (ت ٥٣٨هـ) دَعَبَ بِالْفَتْحِ وَبِالْكَسْرِ يَدْعَبُ بِالْفَتْحِ  
فِيهِمَا، وَرَجُلٌ دَاعِبٌ وَدَعِبَ إِذَا مَزَحَ وَتَكَلَّمَ بِمَا يَسْتَمَلِحُ، يُقَالُ الْمَوْمِنُ  
دَعِبَ لَعِبَ، وَالْمَنَافِقُ عَيْسَ قَطِبَ<sup>(٨)</sup>.

وقال في "اللسان": أدعب الرجل أملح؛ أي قال كلمة مليحة، وهو  
يدعب دعباً؛ أي قال قولاً يستملح، كما يقال مزح يمزح، قال الطرماح:  
وَاسْتَطْرَبَتْ طُعْنُهُمْ لَمَّا احْزَأَلَّ بِهِمْ      مَعَ الضُّحَى نَاشِطٌ مِنْ لَاعِبَاتِ دَدٍ  
يعني اللواتي يمزحن ويلعبن<sup>(٩)</sup>.

وقال الفيومي : (ت ٧٧٠هـ) دعب مزح وزناً ومعنى ، وفي لغة من باب تعب ، والدُّعابة بالضم اسم لما يستملح من ذلك<sup>(١٠)</sup> .  
وقال في القاموس : الدُّعابة والدُّعْبُبالضم اللعب ، وداعبه مازحه ،  
ورجل دُعَابَة مشدداً ، ودَعِب ككتف ، ودُعِب كقُنْفُذ ، وداعب  
لاعب<sup>(١١)</sup> .

قال العلامة أحمد بن احمد اليدالي (ت ١٣٥٨هـ) -رحمه الله- في  
نظمه الذي يعدد فيه الكلمات المترادفة في الوزن والمعنى والذي سماه :  
"وزناً ومعنى" ، مشيراً إلى أنّ المزاح والدُّعاب متفقان في الوزن والمعنى ،  
قال<sup>(١٢)</sup> :

كَذَلِكَ التَّكَالُ بِالْعَذَابِ      كَذَلِكَ الْمَزَاحُ بِالِدُّعَابِ  
وَفِي الْمَزَاحِ جَاءَ ضَمُّ الْمِيمِ      وَفُسِّرَ الْوَجِيحُ بِالْأَلِيمِ

**ثالثاً : الفكاهة في اللغة**

**الفكاهة :** قال عنها ابن دريد : (ت ٣٢١هـ) الفكاهة من قولهم ، رجل  
فكاهة ؛ أي ضحاك مزاح ، وهو مأخوذ من الفكاهة ، وهو المزاح بعينه  
وحسن الخلق ، وتفكاهه القوم إذا تمازحوا ، وقوم فكهون : أي لاهون ،  
وقد قرئ : (فكهون) و(فاكهون) فمن قرأ (فكهون) فمن المزاح  
والمفاهة ، ومن قرأ (فاكهون) فمن اللهو ، والله عَجَلْ أعلم بكتابه<sup>(١٣)</sup> .

ورجل فكاهة طيب النفس ضحوك ، قال :  
فَكَاهَةٌ إِلَى جَنْبِ الْخِوَانِ إِذَا جَرَتْ      نَكْبَاءٌ تَخْلَعُ ثَابِتَ الْأَطْنَابِ  
وقال صخر بن عمرو الشريد :

فَكِهِ الْعَشِيَّ إِذَا تَأَوَّبَ رَحْلُهُ رَكِبَ الشِّتَاءَ مُسَامِحٌ بِالْمَيْسِرِ<sup>(١٤)</sup>  
ويقال: جاءنا بأفكوهة وأملوحة، وقوله تعالى: (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ)  
وارد على سبيل التهكم؛ أي تجعلون فاكهتكم وما تتلذذون به قولكم:  
(إِنَّا لَمُغْرَمُونَ)<sup>(١٥)</sup>.

وقال ابن منظور: (ت ٧١١ هـ) الفكاهة مصدر فكاه الرجل - بالكسر -  
فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحاً، والفاكه المزاح، يقال فكههم بملح  
الكلام أطرفهم، والاسم الفكاهة والفكاهة، والمصدر الفكاهة بالفتح،  
وفي المثل "لا تفاكه أمه ولا تبل على أكمه" قال أبو زيد: رجل فكه وفاكه  
وفيكهان طيب النفس مزاح، وأنشد:

إِذَا فَيْكَهَانٌ دُومُلَاءٍ وَلَمَّةٍ قَلِيلُ الْأَدَى فِيمَا يَرَى النَّاسُ مُسْلِمٌ  
وفاكته مازحت، ويقال للمرأة فكهة وللنساء فكهات. والفكه الذي  
يحدث أصحابه ويضحكهم<sup>(١٦)</sup>.

وقد امتدح الشعراء ممدوحهم بالفكاهة، واعتبروها من كريم الخصال  
ونبيل الخلال، وأن من لا يحسنها لا يمكنه الجد، يقول أبو تمام:

الْجِدُّ شَيْمَتُهُ وَفِيهِ فُكَاهَةٌ طَوْرًا وَلَا جِدٌّ لَمَنْ لَمْ يَلْعَبِ

#### رابعاً: الملاعبة في اللغة

○ الملاعبة: مصدر لاعب، يقال: لاعبه ملاعبة ولعباً ولعباً لعب معه،  
ولعب ولعباً وتلعب: لعب مرة بعد أخرى، قال امرؤ القيس<sup>(١٧)</sup>:  
تَلَعَّبَ بَاعِثٌ بِذِمَّةِ خَالِدٍ وَأَوْدَى عِصَامٌ فِي الْقُرُونِ الْأَوَائِلِ

وفي حديث تميم والجساسة "صادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً" سُمي اضطراب الموج لعباً لما لم يسر بهم إلى الوجه الذي أرادوه، ويقال لكل من عمل عملاً لا يجدي عليه نفعاً: إنما أنت لاعب<sup>(١٨)</sup>.

والتَّلْعَابُ اللعب صيغة تدل على تكثير المصدر، كفَعَلَ في الفعل على غالب الأمر، قال سيبويه: هذا باب ما تكثر فيه المصدر من فعلت فتلحق الزوائد وتبنيه بناء آخر، كما أنك قلت في فَعَلْتَ فَعَلْتَ حين كثرت الفعل، ويقال تلعب تلعباً وتلعباً وتلعباً<sup>(١٩)</sup>.

ومن معاني اللعب اللهو، ومنه قوله تعالى: ﴿أَرْسَلَهُ مَعَاذَ بَرِّعٍ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢٠)</sup> ويقال لعب بالشيء اتخذ لعبة، ومن معاني لعب أيضاً: عَمِلَ عملاً لا يجدي عليه نفعاً، فتكون ضد جد<sup>(٢١)</sup>.

وبعد عرضنا لكلام اللغويين حول هذه الألفاظ المشابهة للمزاح، يتبين لنا أنّ هذه الألفاظ ترجع إلى معنى واحد، فالمزاح والدعابة والفكاهة والملاعبة ألفاظ متقاربة، تصبّ كلها في منحى الملح والتلطف بالكلمة الطيبة التي تريح النفوس وتبعث على انشراح الصدور، دون أن تخلف وراءها أحقاداً، أو تمسّ من شعور أو حرية الآخرين حتى تخرج بذلك الغيبة والسخرية، لأنها وإن صدق عليها ذلك في استخدامات العرب قديماً لها، فإنها قد خصصها العرف الشرعي، وقصرها على ما يباح من ذلك، كما سنبين لاحقاً بإذن الله.



## المحور الثاني: المزاح بين المقاربة الاصطلاحية والشرعية

نقصد بالمصطلح هنا ما تواضع عليه الجمهور من فقهاء أو لغويين، وغيرهم من باحثين معاصرين، (فلاسفة علماء النفس) وستتناول في هذا المحور (أولاً) المزاح رؤية اصطلاحية، و(ثانياً) رؤية شرعية، و(ثالثاً) المزاح رؤية فلسفية، لنختم (رابعاً) بنظرة الأطباء وعلماء النفس حول المزاح.

### أولاً: المزاح: رؤية اصطلاحية

بالرجوع إلى آراء اللغويين في تعريف المزاح نجد أنّ أول من حاول وضع تعريف له من الناحية الاصطلاحية هو العلامة الأزهرى (ت ٣٨٠هـ) حيث قال: "المزح من الرجال: الخارجون من طبع الثقلاء المتميزون من طبع البغضاء"<sup>(٢٢)</sup>.

ويشير هذا التعريف العديد من الملاحظات نذكر منها:

أ- أنه تعريف للأشخاص الذين يمارسون المزاح وليس تعريفاً لعملية المزاح، فهو قد تحدث في تعريفه عن الرجال المزاحين مغلباً المذكر على غيره؛ لأنّ تعريفه يشمل الإناث كذلك.

ب- أنّ هذا التعريف في الحقيقة ليس سوى رسم للمزاح وليس تعريفاً جامعاً مانعاً، إذ التعريف الجامع المانع لا يكون بذكر الأوصاف.

وانطلاقاً من التعريف السابق يمكن تعريف المزاح بأنه: الخروج من طبع الثقلاء، والتميّز عن طبع البغضاء، وبذلك يكون رسماً للمزاح لا للممازح، كما يصدق على مطلق المزاح، سواء كان ذلك المزاح من قسم

المزاح المباح، أو كان داخلاً في القسم الممنوع منه. ويمكن القول إنّ مفهوم المزاح قد شهد تطوراً وأصبح أكثر كمالاً نسبياً في وقت لاحق، وخصوصاً في القرن الثاني عشر مع اللغوي الشهير محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) الذي عرف المزاح في شرحه لـ **لقاموس** بأنه: "المباسطة إلى الغير على جهة التلطف والاستعطاف، دون أذية، حتى يخرج الاستهزاء والسخرية"<sup>(٢٣)</sup>.

ورغم القيمة العلمية لهذا التعريف، إلا أنه هو الآخر بدوره يثير بعض الإشكالات، نذكر منها:

أ- أنه أهمل في تعريفه هذا المزاح الممنوع، فهو قد عرف المزاح المشروع فقط، واحترز من غيره، وبذلك يكون تعريفه غير جامع مانع.  
ب- أنّ التعريف - كما يقول المناطقة - من أهم أركانه أن يكون مطرداً ومنعكساً، وهو الأمر الذي يفتقد في هذا التعريف، حيث لا يعكس غير المزاح من الداخل معه في التعريف كالمصاحلة ونحوها، كما أنه ليس مطرداً، إذ أن المباسطة والتلطف قد يكونان في غير المزاح.

هذا بخصوص تعريف المزاح عند اللغويين، وننبّه هنا إلى أنّ التعريف الذي قدّمه اللغويون هو نفسه التعريف الذي أخذه عنهم الفقهاء، أمّا الباحثون المعاصرون فقد ركزوا على استخدام لفظ الفكاهة أكثر من أخذهم بلفظ المزاح، وهم يعرفون الفكاهة بأنها: "رسالة اجتماعية، مقصود منها إنتاج الضحك والابتسام"<sup>(٢٤)</sup>.

ويرى هؤلاء الدارسون أنّ الفكاهة مثلها مثل أيّ رسالة اجتماعية أخرى،

فإنها تسعى إلى تحقيق بعض الأهداف والوظائف وتستخدم بعض الوسائل الخاصة ، كما أنّ لها محتواها المميّز لها وبنيتها الفريدة. وبالرجوع إلى التعريف السابق الذي يقدمه الباحثون المعاصرون للفكاهة (المزاح) سنجد أنهم تمكنوا من خلاله إعطاء صورة تقترب من الكمال عن عملية الفكاهة ، خاصة فيما يتعلق بأغراض الفكاهة والهدف منها ، إلا أنه هو الآخر يثير بعض الإشكالات أهمها:

أ- أنه يخلط بين الفكاهة ذاتها والهدف منها على الرغم من كونهما أمران متمايزان تمامًا.

ب- أنه يحدّد أهداف الفكاهة والمزاح في مجرد إنتاج الضحك والابتسام ، في حين أنّ لها أهدافاً وغايات أخرى أكثر أهمية من الناحية الشرعية ، وهو الأمر الذي سنعرض له لاحقاً في أثناء تطرقنا لبعض النماذج من مزاح النبي ﷺ.

#### ثانياً: المزاح: رؤية شرعية

يعدّ الفقهاء المزاح هدياً نبوياً ، ومقصداً شرعياً ، إذ إنه يعدّ من قبيل التحسينات ، التي هي أحد أقسام المقاصد الشرعية ، التي قسمها الإمام الشاطبي -رحمه الله- في فاتحة حديثه عن القسم الأول من أقسام المقاصد ، وهو قصد الشارع في وضع الشريعة فقال : إنّ تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق ، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام هي : المقاصد الضرورية ، والمقاصد الحاجية ، والمقاصد التحسينية ، وهذه الأخيرة هي التي تهمننا هنا ، وقد عرفها الإمام الشاطبي بأنها : "الأخذ بما

يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال المندسات ، التي تأنفها العقول الراجحات ، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق" (٢٥).

وفي هذا القسم الأخير من المقاصد يتنزل المزاح الذي هو موضوعنا ؛ لأنه يجري مجرى التحسين والتزيين ، وليس فقدانه محلاً بأمر ضروري ولا حاجي ، فلزم أن يكون من قسم التحسين الذي راعته الشريعة الإسلامية وجعلته مقصداً من مقاصدها ، وهذا ما يعطيه مكانة سامية ورتبة رفيعة ، إذا ما روعيت ضوابطه واحترمت شروطه ، واقتصر منه على قدر الحاجة. فهو ينشّط الحواس والعقل والجسد ، ويعطي للشخص دفعة لمواصلة العبادة ، وبه يصفو الذهن ويستعد للتفكير والتدبر ، وبه يستريح الجسد ليتمكن من مواصلة عمله ونشاطه بحماسة أكبر ، وإقبال أكثر.

والمزاح ينبغي أن يراعى فيه الحق ، وأن يتحرر في الصدق ، حتى يكون جارياً على نظام الشريعة الإسلامية ، ومطابقاً لقواعدها ومقاصدها ، كما ينبغي أن يتعد فيه عن فحش القول وعن الكذب ، فقد روى ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال : «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً» (٢٦).

غير أن المزاح يختلف باختلاف أنواعه ، فهناك مزاح ممنوع وآخر مشروع ، وبالتالي فإننا سنتناولهما في الآتي :

أ- المزاح المشروع : يرى أكثر أهل العلم أن المزاح مندوب إليه ومستحب ، إذا توفرت فيه الشروط المطلوبة ، وفي هذا السياق يقول الإمام النووي : (ت ٦٧٦هـ) "اعلم أن المزاح المنهي عنه ، هو الذي فيه إفراط

ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله، والفكر في مهمّات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويوجب الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، فأما ما سلم من هذه الأمور، فهو المباح الذي كان النبي ﷺ يفعله على الندرة، لمصلحة تطيب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو سنة مستحبة، فاعلم هذا فإنه مما يعظم الاحتياج إليه" (٢٧).

ويعضد هذا الرأي قول العلامة العزي (ت ٩٨٤هـ): الذي يقول هو الآخر: "وبعد، فقد سئلت قديماً عن المزاح، وما يكره منه وما يباح، فأجبت بأنه مندوب إليه بين الإخوان، والأصدقاء والخلان، لما فيه من ترويح القلوب، والاستئناس المطلوب، بشرط أن لا يكون فيه قذف ولا غيبة، ولا انهماك فيه يسقط الحشمة ويقلل الهيبة، ولا فحش يورث الضغينة، ويحرك الحقود الكمينية" (٢٨).

ب- المزاح الممنوع: وهو ما جانب الممازح فيه الحق ولم يتحرر الصدق، أو كان فيه غيبة أو نميمة، أو كان فيه روع مسلم أو إفساد إخوان، أو إضاعة حق من حقوق الله تعالى، أو أفرط فيه صاحبه وداوم عليه ونحو ذلك. وقد بين الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ما منع من المزاح، وعلّة منعه قائلاً: "اعلم أنّ المنهيّ عنه الإفراط في المزاح أو المداومة عليه، أمّا المداومة؛ فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه، واللعب مباح، ولكن المواظبة عليه مذمومة، وأمّا الإفراط فيه فإنه يورث كثرة الضحك، وكثرة الضحك تميم القلب، وتورث الضغينة في بعض الأحوال، وتسقط المهابة

والوقار، وفيما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم" (٢٩).

ومما سبق يمكن أن نخلص إلى أنّ المزاح سنة مستحبة لفعله ﷺ ولكن بشروط وضوابط، منها أن لا يشتمل على كذب ولا روع مسلم، ولا قذف ولا غيبة، وأن لا يتخذه الشخص عادة، وأن لا يكثر منه جداً.

### ثالثاً: المزاح: نظرة فلسفية

يرجع تاريخ اهتمام الفكر الإنساني بالفكاهة (المزاح) إلى العصور القديمة، حيث تحدث عنها فلاسفة بارزون، بدأً بأفلاطون وأرسطو، مروراً بكانط وشوبنهاور، وليس انتهاءً بهوبز وبرجسون، ولم يقتصر الاهتمام بالفكاهة على الفلاسفة، وإنما عني بها علماء النفس كذلك بدورهم فنظروا لأبعادها السيكلوجية.

وإذا ما رجعنا بالحديث إلى جهود وإسهامات الفلاسفة حول الموضوع نلاحظ أنهم قد خصصوا له حيزاً كبيراً من اهتماماتهم، فجميع الفلاسفة الكبار أصحاب الإسهامات الفلسفية الكبيرة تعرّضوا للموضوع، إمّا في معرض حديثهم عن مواضيع أخرى، كما عليه الحال بالنسبة لكل من أفلاطون وكانط وشوبنهاور، أو خصصوا له نظرية وتناولوها في كتاب واحد، كما فعل برجسون، أو عدة كتب كما فعل كير كجورد (٣٠).

ففيما يتعلق بأفلاطون فيعد من وجهة نظر الفلاسفة هو الأب الحقيقي لدراسات الفكاهة والضحك، خصوصاً أنّ هذا الفيلسوف الكبير قد خصص حيزاً هاماً في كتاباته لدراسة الضحك والتأمل فيه، لكن بعض الدارسين يرى أنّ دخول أفلاطون إلى ميدان الضحك لم يكن مبعثه

التبجيل لهذه الظاهرة أو إجلالها، بقدر ما كان من باب التحذير منها، حيث عدّ أفلاطون الضحك وسيلة تغيير اجتماعي في غاية الفعالية، وله القدرة الكافية على تغيير الأوضاع وقلب الموازين، كما أنّ له القدرة أيضاً على تحويل خطوط الدفاع القوية لأيّ سلطة إلى مجرد أبنية هشة، فالضحك في رأي أفلاطون هو أخطر الخصوم وأكثرها قدرة على الفتك بالسلطة، فضحكة واحدة تكون لكل مواطن القدرة على جعل أركان السلطة تتداعى وتسقط متهاوية<sup>(٣١)</sup>.

أمّا فيما يتعلق بأرسطو "تلميذ أفلاطون" فقد سعى بدوره إلى الإدلاء بدلوه حول موضوع الضحك والفكاهة، وكان أبرز إسهاماته في هذا الجانب هو حديثه في كتابه "الأخلاق إلى نيقوماخوس Nicomachean ethics" عن أنّ الاسترخاء يشكل جانباً أساسياً من الحياة، وأنه يشتمل من بين ما يشتمل عليه من سلوكيات على التسلية والترفيه، معتبراً في هذا المجال أنه بالتسلية والترفيه يمكننا أن نكشف عن ذوق طيّب في علاقاتنا الاجتماعية، وعن لياقة فيما نقوله، وفي طريقة أو كيفية قولنا له أيضاً<sup>(٣٢)</sup>. وإذا كنّا أنفأ قد تعرّضنا للفلاسفة الذين تحدّثوا عرضاً عن الفكاهة والضحك، دون أن ينتجوا كتباً خاصة حول الموضوع، فإننا سنحاول -في عجالة- أن نمرّ ببعض الفلاسفة الذين خصصوا كتاباً أو أكثر للحديث عن الفكاهة والضحك، ونبدأ بالفيلسوف الفرنسي هنري برجسون (١٨٥٩-١٩٤١م) الذي طوّر نظرية حول الفكاهة والضحك، أطلق عليها بعض الدارسين اسم "نظرية الآلية" أو "النشاط الآلي

mechanization" وذلك في إشارة إلى قوله: "إنّ الأمر المضحك هو شيء ميكانيكي أو آلي يضع قشرة خارجية مميزة على الكائن الحي وخاصة الإنسان" وقد بحث برجسون عن القانون الذي يحكم الضحك فوجده -في ضوء فلسفته الشاملة حول الوثبة الحيوية والتطور الخلاق- ثاويا في تصلب ما هو حي، وفي تلبس الحياة بإهاب الجماد، فنحن نضحك عندما نشاهد "صلابة" آلية، حيث ينبغي أن توجد مرونة إنسانية يقظة، كما أننا نضحك -بحسب برجسون- من كل تصلب وجمود في الجسد أو الطبع أو الفكر، ونضحك أيضاً من أوضاع الجسم الإنساني وحركاته وإشاراته، حيث يذكرنا هذا الجسم بمجرد آلة تتحرك<sup>(٣٣)</sup>.

وإذا كان برجسون قد خصص كتاباً واحداً للحديث عن الفكاهة والضحك، فإنّ الفيلسوف الدانماركي كير كجورد (١٨١٣-١٨٥٥م) قد خصص للحديث عن هذا الموضوع أكثر من كتاب، فهذا الفيلسوف الذي كان يوصف بأنه شديد الحزن والكآبة والعزلة، قد طرح أسئلة كثيرة في كتاباته المختلفة حول طبيعة الفكاهة والتهكم والسخرية والضحك، وحول أدوارها داخل عمليات الاتصال أو التخاطب الإنساني الأخلاقية منها والدينية. ويمكن تلخيص أهم ما أنتجه حول هذا الموضوع في عبارته الشهيرة التي تقول: "إنه حيث توجد حياة يوجد تناقض، وحيث يوجد تناقض يكون المضحك موجوداً"<sup>(٣٤)</sup>.

وخلاصة القول حول آراء الفلاسفة المتعلقة بالفكاهة والمزاح هو أنهم اشتركوا جميعاً في الاهتمام بهذا الموضوع، إلا أنّ إسهاماتهم فيه جاءت متباينة، ففي حين نظر له البعض ضمن حديثه عن مواضيع أخرى، فإنّ



آخرين قد خصصوا له حيزاً هاماً في جهودهم الفكرية، فألّفوا حول الفكاهة كتاباً مستقلاً أو مجموعة كتب. ويبقى أهم إنتاجهم حول الموضوع، هو تنبّههم إلى دور الضحك كوسيلة تغيير اجتماعي يمكن لها أن تفتك بأعتى السلطات إذا استخدمت في ذلك المسار، كما يمكن لها أن تستغل في تعضيد علاقاتنا الاجتماعية والرقمي بها.

#### رابعاً: المزاح: نظرة طبية

أجمع الأطباء وعلماء النفس على أنّ للضحك والفكاهة فوائد عديدة، وقد تعرّضوا لفوائد الضحك والفكاهة بالكثير من التفصيل، إلا أنه نظراً لضيق المقام سنقتصر على ذكر بعض تلك الفوائد بإيجاز شديد، وفي هذا الإطار يمكن القول: إنّ الضحك قد عرف منذ القدم كعلاج لأوجاع الإنسان، وبحسب بعض الدارسين، فإنّ الإنسان القديم قد انتبه مبكراً إلى فوائد الضحك الجمّة، خاصة فيما يتعلق بضغط الدم والتنفس، وعمليات الهدم والبناء داخل الجسم، وصحة القلب والجهاز الدوري؛ ولذلك السبب فإنّ الإغريق على سبيل المثال قد اعتادوا أن يأخذوا مرضاهم ومصائبهم إلى منازل ممثلي الكوميديا؛ لأنهم كانوا ينظرون إلى ذلك بوصفه جزءاً من إجراءات العلاج<sup>(٣٥)</sup>.

وفي القرون الوسطى سلاحظ أنّ الأطباء قد اهتموا هم الآخرون بدور الضحك في علاج الأمراض، وفي هذا الإطار فقد كان الجراح هنري مونديفل Henri de Mondeville يقول: إنّ الجراح لا ينبغي له أن يهتم بعلاج الجسد فقط، بل أكثر من ذلك، فإنّ عليه أن يحيط أيضاً بالحالة

الكلية لحياة المريض ، ومقدار ما بها من بهجة أو سعادة ، وقد كان هذا الطبيب القدير يعطي أوامر مشددة لمرضاه بضرورة الابتعاد عن الغضب والحزن والكراهية ، نظرا لدور تلك المشاعر السلبي في التأثير على وضعية المريض الصحية ، أمّا الطبيب مدوجل ، فقد نظر إلى الضحك على أنه غريزة ذات قيمة بقائية ، مستندا في نظره تلك على دور الضحك في تنشيط العمليات الخاصة بالتنفس والجهاز الدوري ، الأمر الذي يولد إحساساً عاماً لدى المريض بالبهجة ، وبأنّ حالته الصحية على ما يرام<sup>(٣٦)</sup> .

أمّا الأطباء المعاصرون ، فإنهم ينظرون إلى الضحك على أنه لا يفيد في مواجهة الضغط النفسي فقط ، بل يعمل أكثر من ذلك على تنشيط الجهاز المناعي ، والحد من آثار الشيخوخة ، والتقليل من احتمالات الإصابة بالأزمات القلبية ، كما أنه يعمل على تحسين الوضع النفسي والجسمي للإنسان بشكل عامّ ، مما يجعله أكثر تفاؤلاً وأكثر إقبالا على العمل وعلى الحياة عموماً . كما أنه يزيد من استرخاء الجهاز العصبي ، نظراً لكونه يؤدي إلى زيادة إفراز هرمونات الأندروفين في المخ ، والتي تقوم بعملية حراسة الجسم طبيعياً ، والدفاع عنه ضد الآلام والتوترات الجسمية والنفسية<sup>(٣٧)</sup> .

كما أظهرت الدراسات الطبية الحديثة أنّ الفكاهة والضحك يعدان أنجع أسلوب لمواجهة الأزمات والضغوط النفسية ، ويعود ذلك إلى كون الضحك يعمل على نقص الشعور بالألم ، وزيادة على ذلك فإنه يخفّف من احتمالات التعرّض لأمراض القلب ، من خلال توسيعه للشعب والشرايين المتصلة بالقلب ، وزيادة وصول الأكسجين إليها ، كما أنه يقوم

بالاستجابات المناعية ؛ مما يؤدي إلى شعور المرضى بالتحسن ، ويفسر جوديامون J. Diamond دور الضحك في تقوية الاستجابات المناعية لدى الإنسان ، بأنّ هناك ارتباطاً تشريحياً قوياً بين عضلات الابتسام (الموجودة في الوجنات) وبين الغدة الصعترية (thymus) (الموجودة قرب قاعدة العنق) فإنّ استخدام عضلات الابتسام يساعد على تقوية الغدة الصعترية ، ولأنّ هذه الغدة تلعب دوراً مهماً في جهاز المناعة ، فإنّ تقويتها أو تحسينها من خلال الابتسام سيؤديان إلى تقوية جهاز المناعة أيضاً<sup>(٣٨)</sup> .

وصفوة القول حول رأي الأطباء بهذا الخصوص ، أنّ الضغوط والتأثيرات السلبية لأحداث الحياة قد تؤدي إلى إضعاف جهاز المناعة لدى الإنسان ، مما يوقعه في شرك العديد من الأمراض ، وبالتالي فإنّ أولئك الأطباء ينطلقون من أنّ الفكاهة والضحك ، والحالة الانفعالية والوجدانية الإيجابية التي تأتي نتيجة لهما ، يمكنها أن تصبح بمثابة الترياق الطبيعي لحالات ضعف جهاز المناعة لدى الإنسان ، كما يمكنها أن تعزز نشاطات هذا الجهاز وتقويها<sup>(٣٩)</sup> .

هذا عن بعض آراء الأطباء بخصوص فوائد الضحك ، أمّا فيما يخص علماء النفس فإنهم ينظرون إلى الضحك على أنه أحد أهم أساليب المواجهة (coping styles) التي يمكن للإنسان أن يستعين بها في التغلب على بعض آلامه ومشاكله النفسية الخاصة ، وإضافة إلى ذلك ، فإنها تعدّ من بين الأساليب التي يمكن للمجتمعات أن تستخدمها كترياق لعلاج بعض مشاكلها السياسية والاقتصادية ، ولا أدل على اهتمام المجتمعات بالضحك في السنوات الأخيرة من انتشار أندية الضحك في العديد من

بلدان العالم، بالإضافة إلى استخدام بعض شركات الطيران لمهرجين من أجل الترويح عن الركاب وإضحاحهم، ومساعدتهم على التغلب على مخاوفهم أثناء رحلات الطيران الطويلة منها والقصيرة. كما استخدمت مجموعة من المتخصصين في علم النفس الضحك كعلاج جماعي للانهيار العصبي، عبر تشكيل جوقة للضحك، هدفها مساعدة هؤلاء الأفراد على تجاوز آلامهم النفسية<sup>(٤٠)</sup>.

ومن خلال عرض آراء الأطباء وعلماء النفس حول موضوع الفكاهة (المزاح) يتضح أنّ لها العديد من الفوائد الصحية، إذ إنها تساعد في معالجة المرضى والتخفيف من الآلام عموماً، كما إنها تطّلع بدور فاعل في تنشيط الدورة الدموية، وعمليات التنفس، والحفاظ على صحة القلب والشرايين، وتقوية جهاز المناعة لدى الإنسان.

### (للبحث صلة)

#### الهوامش:

- \* أستاذ مادة الحضارة الإسلامية بجامعة محمد الأمين الشنقيطي - انواكشوط / موريتانيا.
- (١) تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، ٤٠٤/١.
- (٢) لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ٥٩٣/٢، مادة: مزح.
- (٣) القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ص ٢٤١، مادة: مزح.
- (٤) شرح ألفية ابن مالك: لابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٣١/٣.

- (٥) المراح في المراح: للإمام العلامة بدر الدين أبي البركات محمد العزي، راجعه وعلّق عليه د. السيد الجميلي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٩.
- (٦) المرجع السابق: الصفحة نفسها.
- (٧) تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد الجوهري، مرجع سابق، ١/١٢٥.
- (٨) أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، ١/٢٧١.
- (٩) لسان العرب: مرجع سابق، ١/٣٧٥، مادة: دعب.
- (١٠) المصباح المنير: لأحمد بن محمد الفيومي المقرئ، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ص ١٠٣.
- (١١) القاموس المحيط: مرجع سابق، ص ٨٤ مادة: دعب.
- (١٢) منظومة وزنا ومعنى: اللوحة: ١٥ مخطوط بحوزتي.
- (١٣) الاشتقاق: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، مصر، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ١٢٠.
- (١٤) أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مرجع سابق، ٢/٢١١.
- (١٥) المرجع السابق: الصفحة نفسها.
- (١٦) لسان العرب: لابن منظور، مرجع سابق، ١٣/٥٢٣ مادة: فكه.
- (١٧) لسان العرب: مرجع سابق، ١/٧٣٩ مادة: لعب.
- (١٨) المرجع السابق: الصفحة والمادة نفسها. (١٩) م. س: الصفحة والمادة نفسها.
- (٢٠) من الآية: ١٢ من سورة يوسف.
- (٢١) الموسوعة الكويتية: إصدار وزارة الشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، طباعة السلاسل، الكويت، ٣٦/٢٧٢.
- (٢٢) تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، مرجع سابق، ٤/٢١٩ مادة: مزح.

- (٢٣) تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: د. حسين نصار، دار الجيل، ١٣٦٩هـ/١٩٦٩م، ٢/٢٢٢ مادة: مزح.
- (٢٤) الفكاهة والضحك: "رؤية جديدة" شاكر عبد الحميد، كتاب ضمن سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢٨٩، يناير ٢٠٠٣م ص ٧.
- (٢٥) الموافقات في أصول الأحكام: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى المعروف بالشاطبي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، مصر، دون تاريخ، ٢/٤-٥.
- (٢٦) المعجم الكبير: للحافظ الطبراني، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، مطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل العراق، ١٢/٣٩١؛ ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ الهيثمي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. كتاب الأدب: باب ما جاء في المزاح، ٨/٨٩. وقال: إسناده حسن.
- (٢٧) شرح الشمائل المحمدية المسمى بالفوائد الجليلة البهية: للعلامة سيدي محمد بن قاسم جسوس، دار الرشاد، الدار البيضاء، بدون تاريخ، ٢/٣٢.
- (٢٨) المراح في المزاح: للعزي، مرجع سابق. ص ٩.
- (٢٩) إحياء علوم الدين: لمحمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ٣/١٢٨.
- (٣٠) الفكاهة والضحك: "رؤية جديدة" د. شاكر عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٦١.
- (٣١) المرجع السابق: ص ٦٥.
- (٣٢) الفكاهة والضحك: "رؤية جديدة" د. شاكر عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٧٦.
- (٣٣) المرجع السابق: ص ١١٠.
- (٣٤) المرجع السابق: ص ١٠٠.
- (٣٥) الفكاهة والضحك "رؤية جديدة" د. شاكر عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٤٣٣.
- (٣٦) المرجع السابق: ص ٤٣٤.
- (٣٧) المرجع السابق: ص ٨.
- (٣٨) الفكاهة والضحك: "رؤية جديدة" د. شاكر عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٤٥٠.
- (٣٩) المرجع السابق: ص ٤٥١.
- (٤٠) المرجع السابق: ص ٨.

**تصحیحات الیمینی وإضافاته**  
**على حواش لسمط اللالی**  
**(المطبوع بتحقیقه عام ١٩٣٦م)**

بقلم: د. أحمد خان\*

نشرت د. نادیة غازی العزاوی فی مجلة "العرب" (رجب وشعبان ١٤٣٥هـ) مقالاً تحت عنوان "نظرة فی حواشی العلامة الراجکوتی" وأطرات فیه أسلوب أستاذنا فی إیراد حواشی الکتب الی حقها أو ألفها، وأشارت إلى إیجازها واختصارها وإحالتها فی کثیر من المواضع إلى المخطوطات ونسخها بالأخص فی خزائن المخطوطات العالمیة، وقالت: "حواشی کتب العلامة عبد العزیز الیمینی (١٨٨٨م-١٩٧٨م) -تألیفاً وتحقیقاً- أكبر من مجرد هوامش للتخریج والتفسیر والإحالة، فهی عنده غنیة المحتوی، متنوعة الأغراض، تتناغم مع متونه بما تضم من دقائق المسائل والملاحظات والاستدراکات الأدبیة واللغویة والنقدیة." بکون حواشی العلامة الیمینی قیمة ومفیده وثریة خاصة بإحالتها إلى التراث العربی المخطوط فإنها تحتاج إلى عناية خاصة من محبی التراث وطلاب العلم. ورأینا أن نموذج هذه الحواشی توجد فی کتابه المهم "سمط اللالی"

وكان يفتخر به كذلك. لا شك في أنّ حواشي هذا الكتاب أمثل النماذج لمن يهتم بإخراج الكتب التراثية. وقال الدكتور عزة حسن توصيفاً لأهمية هذا الكتاب في ميدان تحقيق التراث:

ثلاثة لي شكري لها لزام السمط واللسان والأعلام  
نشر الكتاب في سنة ١٩٣٦م وقد أصبح الآن كأنه لا وجود له، حتى لا تجده في المكتبات الكبيرة. وأمّا النسخة التي كانت لدى محققه نسخة مهمة وذات قيمة كبيرة؛ لأنّ الميمني كان يضيف فيه الحواشي عندما يجد شيئاً جديداً بالنسبة لهذا الكتاب. وقد كتب هذه الحواشي بيده على هامش هذه النسخة. وحرصنا أن نصون هذه الدرر لإنارة الطريق لمخرجي التراث، وقد جمعناها بمكان واحد لكي يستفيد منها الذي يريد نشر الكتاب من جديد، أو يتمنى أن يستكمل النسخة التي لديه.

إنّ كتاب سمط اللّالي في شرح أمالي القالي، للوزير أبي عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ) يعدّ كتاباً مهماً في الأدب العربي، حققه أستاذنا العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي (ت ١٩٧٨م)، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر عام ١٩٣٦م. وقد أفرغ فيه الأستاذ علمه وهمّه من شبابه حتى قال: "كان هذا الضيف قد خيم بي منذ سبع سنين كسنيّ يوسف، ولات حين مناص أو تلهف وتأسف، وكان ينظر قرماً إلى أفلاذ كبدي ولحمي الزيم، فأطعمته لحمي وأسقيته دمي". واستغرق شهوراً في تدقيق تجاربه وتصحيح حواشيه، ولذلك كان الأستاذ قد رحل من عليكره إلى



القاهرة ومكث بها بضعة شهور، وانتهز هذه الفرصة فزار هناك خزائن المخطوطات ومجاميعها، كما استفاد منها في تصحيح عمله.

وكان من دأب الأستاذ أن يكتب بهامش الكتاب بالقلم ما قد رأى شيئاً يخلج بصدرة من خطأ أو تصحيح وإضافة لكتاب ينظر فيه. حسب هذه العادة بل حبا لينظر كتابه السمط أصح وأكمل من كل ناحية كان يعاود النظر فيه ويعود إليه من آن وآخر. وكذلك إذا وجد شيئاً جديداً ضمن مشتملات السمط أو ضمن أبيات وردت في الكتاب أو إضافة جديدة في المصادر كان يثبتها بهامش الكتاب. وكان قد اختص لهذا الغرض نسخة من السمط، وظلت هذه النسخة لديه طوال حياته. وعندما رأى في آخر عمره حتى قرب وفاته أنّ هذه النسخة من السمط تحتاج إلى الاحتفاظ أو تحفظ لمن ينشر الكتاب ثانياً، وخشي ضياعها، أودعها في مكان قريب لبيته في مكتبة مدرسة شهيرة (مدرسة عربية نيو تاون بكراتشي) لبانيها العلامة محمد يوسف البنوري المجمعي الراحل، مع كتبه المصححة الأخرى.

وخشية من ضياع هذه النسخة في الأحداث المشؤومة بكراتشي في هذه الأيام، رأيت أن أدون بورقة هذه التصحيحات والإضافات التي كتبها الأستاذ على هذه النسخة للسمط. فتصفحت الكتاب ورقة ورقة وجمعتها ورتبتها حسب صفحات الكتاب، وأبغى نشرها لعموم فائدتين: الأولى لتكون هذه التصحيحات أمام العالم الذي سيقوم بنشر هذا الكتاب نشرة صحيحة ومنقحة وكاملة حسب بغية محققه، والأخرى

ليصح ويكمل من لديه نسخة من طبعة الكتاب الأولى ، حسب ما أراد به المحقق رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وجدير بالذكر أنّ الكتاب قد صدرت صورة منه سنة ٢٠٠٩ عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ، بمصر ، وطبع ثانية ببيروت في مجلدين ، وذلك من طبعته الأولى وما أضيف إليه من حواشيه إلا قليلاً. ومن الغريب أنّ الناشر لم يذف إليه هذه التصحيحات والإضافات التي قام بها محققه الأول حتى وفاته ؛ لعله لم يقف عليها.

[تلميذ الميمني : د. أحمد خان]



- ص "د" س ٢٤ ، ٢٥ = في الحاشية الرقم (٣) : البيتان منسوبان في منتخب ربيع الأبرار ٢٤ للثعالبي. وصححها الميمني : البيتان للثعالبي (الثمار ١٦٧) ومنتخب ربيع الأبرار ٢٤ وفيه أول ....
- ص "ش" س ١٢ من العمود الثاني = هنا أضاف الميمني المصدر مجالس ثعلب ٩٢٦.
- ص "ف" س ٦ = هنا صحح الكلمة الشريشي لأبيات الطائية.
- ص "ف" س ٨ = أضاف هنا غرر الخصائص (مطبوعة ١٢٩٩ هـ) ١٥٢ عنه ٦١٣ كثير والحزين.
- ص "م" س أخير = أورد ١٢ كتاباً ورد ذكرها في السمط المطبوع ، وأضاف فيها :

(١٣) تهذيب المؤلف والمختلف في أسماء القبائل ، لابن حبيب من

- تأليفه ، رواه ابن خير ص ٢١٩ بسنده إلى البكري (❖).
- (١٤) المستوعب لأسماء خيل العرب ، تخريج - الدلالات السمعية.
- ص "٥" س ١ = من كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" ، لابن بسّام علي بن محمد المولود بلشبونة.
  - ص "٥" س ١٢ = فصل في أخبار البكرين من أمراء المغرب. أخبرنا الميمني ضمنه : ونقل ابن عذاري هذا الفصل برمته في الجزء الثالث المطبوع بباريس ١٩٣٠م ، ص ٢٤١-٢٤٢.
  - ص "٥" س ٢٠ = أوصلته إلى مأمنه بقرطبة ، كذا عند ابن عذاري.
  - ص "٥" س أخير = وابن عذاري : صمّم كما أثبتناه.
  - ص "١٣" س ١٥ = بين القوسين (المخبّر ٢٢٦ ، خ ٦٦٨/٣...).
  - ص "٢٢" س ١٩ = منسوباً لأبي مارد والبخلاء ، لم أجدها.
  - ص "٢٤" س ١ = وردت هنا أبيات ، وأخبرنا الميمني : أكثر الأبيات في المعاني (❖) ٨٩٤.
  - ص "٢٤" س ١٩ = أضاف في الحاشية بالرقم ٢ : وتكملة الجواليقي طبعة دمشق ، ١٧٧ عن ابن برّي.
  - ص "٢٤" س ١ = وردت هنا أبيات ، وأخبرنا الميمني : أكثر الأبيات في المعاني ٨٩٤.
  - ص "٢٤" س ١٩ = أضاف في الحاشية بالرقم ٢ : وتكملة الجواليقي طبعة دمشق ١٧٧ عن ابن برّي.

- ص "٦٥" س ٢١ = أضاف في الحاشية بالرقم ٤ : والأبيات في الخالدين (+) ٦٨ ، وله ترجمة في الورقة رقم ٢٩ .
- ص "٦٨" س ١٨ = قال في الحاشية الرقم ١ : وليست في ديوانه ، وصححها وقال : ثم وجدتها في الجزء الرابع ، والبيزرة والمصايد .١٧٠
- ص "٨٣" س ٨ = وأنشد أبو علي (١٨، ١٩/١) لمزرد : إذا مسَّ خِرْشاءُ الثَّمالة أنفه ، وأضاف هنا ، أن البيت في المعاني ٣٨٩ .
- ص "٨٣" س ١٢ = وكان أحد هجاة الضيفان .
- ص "٨٣" س ٢٠ = غزري الغزيرة الدر أو يكون علما... .
- ص "٩٤" س ٣ = قال المؤلف : لم أر عليهما مزيداً . وأضاف الميمني : قال ناظم السمط : رأيت عليهما مزيداً في الوحشيات ٢٠٧ ، وهي ٤ أبيات ليزيد بن الرومي العتكي .
- ص "٩٤" س ٢١ = (أو بغيبة) وصححها بـ "بغبيبة" .
- ص "١٠٥" س ١٣ = الحاشية الرقم (٣) تمام الكلمة ، وبعده ١١ بيتاً ، وأخبرنا الميمني أنها في طراز المجالس ، ابن عساكر ٢٠٤ .
- ص "١١٥" س ٧ = بزيادة ثالث من محاضرات الراغب ٣٩٤/٢ :  
يقلّب للأصوات من كل جانب صماخاً كبيت العنكبوت المغمّض
- ص "١٣١" س ١٧ = أضاف الميمني في الحاشية الرقم (٢) : عند ابن المعتز (المطبوع) ٣٩٥ للعطوي ١٨٧ وهما عند العكبري ٤٢٣/١ بلا عزو .

- ص "١٣٩" س ١٠ = الوحشيات : يشرب نشرها وحشاها(❖)
- غ: حبّ نسيمها ونشاها
- لعبد الله بن جحش ١٧ و ١١٨ الوحشيات.
- ص "١٤١" س ٢٢ = أضاف هنا الميمني. وترجم الثعالبي لابن أبي مرّة المكي، في التتمة ٧٢، وهذا غريب، أي أن يكون من معاصريه.
- ص "١٥١" س ٢١ و ٢٢ = الأبيات في مجالس ثعلب ٥٩١/٢.
- ص "١٥٤" س ١٨ = ضمن الحاشية بالرقم ٢: البيت في الفاخر ٢٤١.
- ص "١٥٥" س ١٣ = وقد صحّف أبو عبيد في هذا الاسم، وهو السُّبْجَة، وأشار الميمني هنا إلى أنه في التنبيهات على أغاليط الغريب المصنّف، بالرقم ٣٦.
- ص "١٦١" س ١٨، ١٩ = هنا بيت لابن المعتز، وقال الميمني: ولم أجدها في ديوانه، وصححها فيما بعد وقال: ثم وجدتها في ديوانه المطبوع سنة ١٩٤٥ م.
- ص "١٦٢" س ١٨، ١٩ = تحت الحاشية الرقم (٤)... وفي الأمالي بمقلته بدل بمقلته مصحّفاً، ههنا أضاف: وفي الواضح المبين ١٩٩، على الصواب. وفي الفاضل ٥٩ لأخت عمرو ذي الكلب. وهي ٨ أبيات في الفاضل للمبرد، أحمد بن يوسف الوزير في أوراق الصولي ٢٥٢/١ لابن أخته أحمد بن أبي سلمة الكاتب.
- ص "١٦٤" س ٧ = وقال عروة المرّار أبوهاني ابن عروة. وصححها الميمني: وقال صوابه عروة المراديّ أبوهانيّ بن عروة.

- ص "١٧١" س ١٧ = ضمن الحاشية بالرقم ٢ ، أشار الميمني إلى البيان ١٤٠/٢ ، ولكن أحال إلى طبعته الأخيرة ، فقال : البيان (مطبوع ١٣٤٥هـ) ١٩٣/٢ .
- ص "١٧٨" س ١٧ = أبياته غير البيتين في غ ٥٤/٢١ ، وغير أولها في منتهى الطلب ، وهي ١٩ بيتًا. وهما عند ابن أبي عون ١٠٦ و....
- ص "١٨٢" س ١٩ = أضاف الميمني بعد تاريخ الخطيب ٢٨٧/١٤ ، وفي المحدثين لابن المعتز ١٩٥ .
- ص "١٨٣" س ٤ = هنا وردت ثلاثة أبيات ، فأشار الميمني إلى أنها وردت في نقد الشعر ٢٢ .
- ص "١٨٦" س ٣ = لمسكين الدرامي ، وقومها الميمني لمسكين الدارمي .
- ص "١٨٩" س ١-٣ = وردت هنا أبيات ، وأشار الميمني إلى المصدر : ابن أبي عون ٢٦٦ بلا عزو .
- ص "١٨٩" س ١١-١٢ = بيت للأحوص ، وأشار الميمني للبيت أنه ورد في الأدباء ٤٧٩/٥ .
- ص "١٩٢" س ١٣ = ورد هنا بيت لعبد الله بن سبرة الحرشي ، وأخبرنا الميمني : انظر لبعض أخبارها في المحبر ٢٢٢ .
- ص "١٩٣" س ٢١ = اطربون معرب اتربونس .
- ص "١٩٦" س ٢٠ = بأخر الحاشية الرقم (١) أضاف الميمني : وثلاثة له في الوفيات ترجمة أبي العتاهية ٧٣/١ .

- ص "١٩٨" س ٢٠ = ضمن الحاشية بالرقم (٢)، أورد الميمني :  
طبقات ابن المعتز والجواهر ٢٠٣.
- ص "١٩٨" س ٢٢ = أضاف في بداية الحاشية الرقم ٤ : وطبقات ابن  
المعتز ٨٥ [١٨٩] ط مصر.
- ص "٢٠٦" س ١٠ = ضمن الحاشية رقم (٢) : لورقة بن نوفل (وخ  
٣/٣٥٩ بطرني).
- ص "٢٠٦" س ١٧ = أضاف الميمني ضمن الحاشية بالرقم (٢)، البيتان  
في الوحشيات رقم ١٧٨ [ص ١١٠]، باختلاف غير يسير.
- ص "٢٠٦" س ١٠ = أضاف ضمن الحاشية الرقم (٣) : البيتان يتقدمهما  
بيت آخر لجابر بن ثعلب التغلبي (?) في البصرية. وفي الخالدين  
٢٦٧، لابن الطرية.
- ص "٢١٢" س ٩ = أورد الميمني ضمن أبي جلدة: وكذا في مؤتلف  
الأمدي، رقم ٢٠٢ أيضاً وعلى حاشية المرزباني ٥١١، وفي أدب  
الخواص: أبوخلدة، بالخاء، وقال ابن دريد: من قال غير ذلك فقد  
أخطأ.
- ص "٢١٣" س ٨ = أخبرنا الميمني ضمن أبي الميَّاس: ترجم له الخطيب  
الرقم ٧٧٨٩، رواية عن شيوخ الأندلس.
- ص "٢٢٦" س ٢١ = وأشار الميمني إلى أنّ البيت في أشباه الخالدين  
٢١٤ لمرة بن معروف بزيادة أربعة أبيات.

- ص "٢٣٧" س ١٩ = أضاف على الحاشية بالرقم (٤): القصيدة على طولها في لباب الآداب ٣٩٦، والأمالى الشجرية ١/١٧٦.
- ص "٢٤٤" س ٢١ = وأضاف في الحاشية بالرقم (٤): والبصرية والحيوان ٣/٤٤٥.
- ص "٢٤٨" س ٢٠ = وأخبر الميمنى ضمن بيتين للأسود بن يعفر بأنهما قد وردا في المعانى الكبير: ٣٨٥، وذلك ضمن الحاشية الرقم ٢.
- ص "٢٥٥" س ٢٠ = أضاف ضمن أرجوزة ابن المعتز، وقال: وفي ديوانه طبعة سنة ١٩٤٥ م، برقم ١.
- ص "٢٥٩" س ٤ = ضمن قول الأحوص، وهو في معجم ما استعجم ١٢٠، وفيه، روى الحربى قال، قال إسحق بن عبد الملك: عاتكة هذه ليست -ولكنه قابل بين قبر- وبئر الأسواف فكنى: بعاتكه ١ هـ.
- ص "٢٦٤" آخر = وأضاف الميمنى بأخر الحاشية الرقم (٦): ثم رأيت في الوفيات ١/٢٧٣ في ترجمة عبيد الله بن بن عبد الله بن طاهر له ثمانية أبيات، سردها ثم قال، ووجدتها لأبى الطريف شاعر المعتمد العباسى.
- ص "٢٦٥" س ١١ = ورد هنا بيت أبى حية النمري: وليس الذى يهمنى من العين دمعها ولكنة نفس تذوب فتقطر أضاف الميمنى ضمنه: هذا البيت نسبه الثعالبي في التتمة رقم ٥٣ لأبى بكر العنبرى.
- ص "٢٧٢" س ١٧ = صحح الميمنى رقم الصفحة ضمن الحاشية الرقم (٣): وعند الشريشى ١/١٧٦.



- ص "٢٧٤" س ١٠، ١١ = البيتان لإسماعيل يسار من ٨ أبيات.
- ص "٢٧٤" س ١٧ = "فقد عرفت وجه مقال ابن الإفليلي"، ضمن هذه الإفادة انظر الأشباه للخالدين ١٢٤.
- ص "٢٧٥" س ٢٠ = الحاشية بالرقم (٣): البيتان في البيان ٢٨٣/١ وهما....
- ص "٢٧٦" س ١٩ = كذا الأمالي، وابن أبي عون ١٢٧.
- ص "٢٧٧" س ١٦ = صحح كلمة مديح (?) بـ مديح.
- ص "٢٨١" س ١٣ = فقالت ليلي: من كلمة في ٣٧ بيتاً (الدار "أدب ١٨٤٥"، ص ٥٧-٥٩)، هذا يعني أنّ هذه الإفادة من الكتاب الموجود بدار الكتب المصرية بالرقم أدب ١٨٤٥.
- ص "٢٨٧" س ١٧ = أشار لبيت الخنساء أنه في البيان ٦٠/٣ بلا عزو.
- ص "٢٨٨" س ١٧ = أضاف في الحاشية بالرقم (١)، والبيت في ديوان بشر بن أبي خازم، رقم ٢، البيت ٢٢ من كلمة في ٢٨ بيتاً. والعيون ٩٦/٣، والصناعتين ٣٤٥.
- ص "٢٩٩" س ١٧ = أضاف في الحاشية بالرقم (١): ... بغير عزو. ثم وجدتها سبعة أشطار في نسخة مجالس ثعلب، ص ٤ باختلاف في الرواية، وبلا عزو؛ و ١٣ شطراً لمساور بن هند في فرحة الأديب، تحت الرقم ٩٥.
- ص "٣٠٧" س ١٨ = أحال البيت إلى أمالي ابن الشجري ١٣٧/١.

- ص "٣٠٨" س ١٦ = أورد ضمن الحاشية الرقم (١): في البيان ٢٨٠/١ ، وفيه فقبلتها بنتين.
- ص "٣٠٩" س ١٧ = ضمن الحاشية الرقم (١): هما في ابن أبي عون ٢٠٧ .
- ص "٣١٠" س أخير = كما في ابن أبي عون ٢٠٨ ، ومعاني العسكري.
- ص "٣١١" س ٢٠ = صحح بيتاً: أيا من تعبدني طرفه.
- ص "٣١١" س ٢٣ = أضاف في الحاشية الرقم (٢) ترجم له الشابستي ١٠ ، وبآخر الحاشية: في المنتظم سنة ٢٦٢ هـ ، ومجلة المجمع ٢٥٤/٨ عن الديارات للشابستي.
- ص "٣١٢" س ١٩ = صحح الرقم من صفحة النويري ١٣٠/١ .
- ص "٣١٤" س ١٧ = أضاف ضمن الحاشية بالرقم (٢): الذي في د [ابن المعتز] ٢٩٤ وفي طبعة ١٩٤٥ م برقم ٢٥ .
- ص "٣١٧" س ١٦ = أضاف ضمن الحاشية الرقم (١): والمعاني ٤٨٥ .
- ص "٣١٧" س ١٧ = ... وهو صنع ثعلب. وبآخرها: وهي له في الحيوان ١٤٨/٣ .
- ص "٣١٩" س ١٤ = أخبر الميمني أن بيت طفيل موجود في: المعاني ١٢٧ ب.
- ص "٣٣٠" س ١٤-١٩ = ضمن الأبيات يقول الميمني: ولا بن عساكر ثلاثة أبيات تشبهها في الأدباء ١٤٦/٣ .

- ص "٣٣١" س ٢١ = أشار بعد كلمة مصحّفة إلى ورد: والإيجاز (ط مصر) ٢٥٨.
- ص "٣٣٣" س ٥ = أَلَمَّ وَقْتُهُ، وصححها بـ أَلَمَّ وَقْتَهُ.
- ص "٣٣٣" س ١٢ = ضمن بيت أرطاة بن سهية، قال: وفي الحيوان ١٤٤/٣، وابن أبي عون.
- ص "٣٣٣" س ١٧ = أضاف في الحاشية الرقم (٣) بعد "والزهرة ٣٤١" والمرزباني ٣٢٥.
- وبعد محمود الوراق: ثم وجدتهما في ديوان ابن المعتز، الرقم ٣١٤.
- ص "٣٣٤" س ١٨: أضاف بآخر الحاشية الرقم (١): ثم إني وجدتها في "المحمدون من الشعراء" للقفطي ١٤ ب محمد بن أحمد بن محمد ابن الحسن بن الحسين بن علي بن هارون البرداني.
- ص "٣٣٥" س ٢٠-٢٢ = ضمن الحاشية بالرقم (٤)، أشار الميمني إلى أنّ الأبيات أربعة في أول ما رواه أبو إسحق ابن الأعرابي، من نوادر أبي مسحل، قال: وتمثّل بها عبدالمملك في كبره، وهي لبعض الأعراب. قال ثعلب: هي لأبي الأسود. والأبيات لم أجدها في ديوان أبي الأسود، صنع السكري، ونسب الخالديّان بيتين منها ٢٦٨ له.
- ص "٣٣٦" س ١٨، ١٩ = أضاف في الحاشية بالرقم (٣): ... في معاني العسكري ٥٩/١، وطبقات ابن المعتز. والكلمة في ٦٩ بيتاً في جمهرة الإسلام، و عنه بمجلة المجمع ص ٥ سنة ١٩٥٩ م.
- ص "٣٣٦" س ٢٢ = ... ومعاني العسكري ١٥٣/٢، والورقة رقم: ٥٠.

- ص "٣٣٧" س١٧ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (٢): وانظر العبدلكاني.
- ص "٣٣٧" س٢٢ = وأضاف بآخر الحاشية الرقم (٥): وطبقات المحدثين لابن المعتز ٧٥.
- ص "٣٣٩" س٢١ = وأضاف بآخر الحاشية الرقم ٤ : وإنباه الرواة ١٤٧/٢.
- ص "٣٤٠" س٦ = قال علي بن حمزة [في شأن المبرّد]، ويجزم الميمني في هذا القول: ليس هذا من قوله وإنما هو من قول المجنون الذي لقيه.
- ص "٣٥٦" س١٦ = أضاف الميمني ضمن الحاشية الرقم (١) بعد الأشرطة في الحيوان ١٣٠/٣ : والأغاني ١١/١٢٨.
- ص "٣٧٢" س٧ = وأسقط منه مختاره وذلك بعد قوله: وناحت وفرخاها بحيث تراها ومن دون أفراخي مهامه فيح وقال الميمني: لم يسقط المختار بل أنشده في [اختياره] ١٣٣/١ بعد أبيات حميد بن ثور، وهي ثلاثة أبيات على السواء. وقد أخطأ الرجلان وتبعوا المبرّد في كامله. وإنما هذه الثلاثة لأبي كبير الهذلي، ولكن لا توجد في ديوانه المطبوع.
- ص "٣٧٢" س١٧ = وأضاف بأول الحاشية الرقم (٣): في طبقات ابن المعتز ٨٣ [١٧٨].
- ص "٣٨٦" س٤ = أحال الميمني ضمن بيت هلال المازني إلى أنه موجود في أمالي ابن دريد ص ٤٠.

- ص "٤٠١" س ٢٠ = أضاف الميمني بآخر الحاشية بالرقم (١): وله ترجمة في الورقة رقم ٥.
- ص "٤٠٥" س ٢١: أضاف ضمن الحاشية بالرقم (٢): الأشنانداني ٧٢، و معاني القتيبي [المعاني الكبير] ٤٠٢.
- ص "٤٠٩" س ١٨ = أضاف ضمن الحاشية بالرقم (٢) بعد الأبيات في الحماسة ١٢٦/٣: وطبقات ابن المعتز ٤٩.
- ص "٤١٠" س ١١ = هنا لم يعثر الميمني على صدر البيت الكامل، عند طباعة السمط، لكن وجدها فيما بعد عند القفطي، وهو: [قليل منك يكفيني] ولكن قليلك ما يقال له قليل
- ص "٤٢٣" س ٢٠ = ضمن نسبة الشُّعر إلى ابن ميادة، أضاف الميمني في الحاشية الرقم (١): وكذا طبقات ابن المعتز ٤٤.
- ص "٤٢٣" س ٢٢ = ضمن الشُّعر لجميل وهي قصيدة في البحري ٤٠٨، تسعة أبيات.
- ص "٤٢٧" س ١٥ = أضاف في الحاشية الرقم (٢) ضمن الأبيات لابن ميادة: الأبيات في طبقات ابن المعتز ٤٤ [١٠٨]، وفي الحماسة....
- ص "٤٣٤" س ١٨ = أضاف في الحاشية بالرقم (١) بعد: في الطبري ٢٣٦/٥: وسبعة في ل (حلم).
- ص "٤٣٩" س ١٤ = قال الميمني ضمن ترجمة الحماني: ترجمته في عمدة الطالب ٢٦٩.

- ص "٤٣٩" س ٢٠-٢٢ = أضاف في الحاشية بالرقم (٣) الأبيات ١١ في الشابشتي ١٥٢ ؛ و ١٠ في البلدان ؛ وسبعة عند ابن أبي عون ١٩٨ ؛ وتسعة في بلدان ابن الفقيه ١٧٩ ، ٢٣ في محاضرات التوحيد ٢٠٤ .
- ص "٤٤٢" س ٢٠ = أضاف في الحاشية ، بالرقم (١) : الأبيات ثلاثة في ديوانه ٣١٨ ، وفي طبعته سنة ١٩٤٥ ، برقم ١٢٩ .
- ص "٤٤٣" س ١٩ = أضاف في الحاشية الرقم (١) : منسوب في الأمالي أيضاً ، وهو في د ٣٠٥ ، وفي طبعته سنة ١٩٤٥ م ، برقم ٩٤ .
- ص "٤٤٣" س ٢٢ = أضاف بآخر الحاشية بالرقم (٥) : ثم وجدت له ثلاثة أبيات من الكلمة في عيار الشعر ١١٨ ، وسمّاه أبا العمر هارون ابن محمد الرازي .
- ص "٤٤٣" س ٢٢ = وأضاف بآخر الحاشية بالرقم (٦) : الأقطار في ابن أبي عون ١٦٤ .
- ص "٤٤٥" س ١٤ = أضاف في الحاشية الرقم (١) : الأبيات ٤ في التصحيف ١١١ ، والوحشيات ٢٢٧ .
- ص "٤٥٦" س آخر الصفحة = أضاف في آخر الحاشية الرقم (١) : ومنتهى الطلب ١٦ بيتاً .
- ص "٤٦٠" س ١٩ = أضاف في الحاشية الرقم (١) بعد ... والألفاظ ٥٢٨ : وثلاثتها في منتهى الطلب من كلمة في ٤١ بيتاً .

- ص "٤٦٣" س ١٤، ١٥ = وفي الفصول ٣٩٦، وأنشد لبعض العور من العرب، وهو ينسب إلى يزيد بن الطثرية:  
بكت بعين لم يصبها فما وأخرى رماها صائب الحدثان\*  
عذرتك يا عيني الصحيحة بالبكا فما لك يا عوراء والهملان  
هذا الثاني يروى لظهمان الكلابي. ثم وجدته في ١١ بيتاً لابن الدمينية في البعض وعليها العهدة. وعند الخالدين ١٨٤ ثلاثة بلا عزو.
- ص "٤٧٨" س ٩ = هكذا رواه أبو علي، وغيره: هنا يشير الميمني إلى المصدر، وكذا الأوراق ١٩.
- ص "٤٧٨" س ١٢ = أشار ضمن أبيات إبراهيم إلى أنها ٨ أبيات في الأوراق ٢١.
- ص "٤٨٧" س ٩ = يشير ضمن "من حرم الخمر في الجاهلية" إلى المحبّر فيه الباب ٢٣٧.
- ص "٤٨٨" س ١٨ = أضاف في الحاشية الرقم (٢): المعروف أنهما من أبيات لقيس بن عاصم كما، وأضاف هنا: المحبّر ٣٨، ونسخة أشربة القتبي (❖).
- ص "٤٩٠" س ١ = أشار ضمن الأشرطة إلى المعاني ٢٧ ب، والمطبوع ٦٦٣، أنعته من الحيوان ٨٣/٤.
- ص "٤٩٦" س ١٩ = أشار إلى صفحات التشبيهات، أنها ٧٩.
- ص "٥٠٠" س ١١ = هنا ذكر الشاعرة عنان اليمامية، وأشار الميمني إلى: لها ترجمة في مختصر طبقات ابن المعتز.

- ص "٥٠٨" س ١١ ، ١٢ = أشار هنا ضمن شعر عباس إلى : انظر ديوان ابن الدمينه ، رقم ١٩ من أبيات.
- ص "٥١١" س ١٩ = عن أمالي ثعلب (ق ٥٠).
- ص "٥١١" س ٢٠ = أنه لا يوجد في أمالي ثعلب ، ثم وجدته ، وقال : وهو موجود في هذه الطبعة.
- ص "٥١١" س ٢٢ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (١) وفي الخالدين والبصرية.
- ص "٥١٣" س ١٩ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (١) : وفي التنازع للمقريري مصر ٥٣ كما هنا.
- ص "٥١٤" س ١٢ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (١) : وأمالي ابن دريد ، ص ٨٧. هنا (ص ٥١٤) إفادة من الميمني مفيدة جداً ، وجدير بأن يرجع إليها.
- ص "٥١٤" س ١٢ = وفي الحاشية الرقم (٢) ضمن أبيات ابن يسير أشار الميمني إلى مصدر آخر : ثم رأيت ثلاثة أبيات من الآخر في المنتظم ج ٦ رقم ٢٥٩ لعبد الله بن ثابت النحوي ، المتوفى سنة ٣٠٨هـ ، ولعله نقلها عن الخطيب [البغدادى] ٥٠٣٩.
- ص "٥١٦" س ١٦ ، ١٧ = أشار إلى المصدر الآخر ، وهو : ثلاثة في الأوراق ٦٦ ، وذلك ضمن أبيات الشطرنجي.
- ص "٥١٦" س ١٩ = أضاف في الحاشية الرقم (٣) : ...مجموعة المعاني ٣٠٩ ثلاثة ، وفي نصرة الثائر (نسختي) ٣٣٨ ، البيتان لجميل بن معمر العذري.



- ص "٥١٩" س ٢١ = أضاف بآخر الحاشية الرقم (٤): وفي "من غاب عنه المطرب" (الجوائب) ٢٧١: قال ومن أحسن ما سمعت في شعورهن مع وصف عيونهن وحسن مشيهن، قول المطراني الشاشي، وهو ما استحسّن الصاحب، وسمّاه في - له مصر ٢٤٣، أبا محمد بن مطران(❖).
- ص "٥٢٥" س ١١ = أشار إلى مصدر آخر ضمن أشطار الناجم، فاته ابن أبي عون ٩٣. وذلك من الحاشية الرقم (٣).
- ص "٥٢٦" س ١٥ = أشار إلى مصدر آخر ضمن البيتين لعكاشة، فثبت: ابن أبي عون ١١٦، وذلك قبل "كابن الشجري".
- ص "٥٢٧" س ١٢ = أشار إلى مصدر لبيت دون عزو، أنه موجود في ابن أبي عون ١١٧، والبيت:  
وكأنه في حجرها ولد لها      ضمته بين ترائب ولبان
- ص "٥٢٧" س ١٤ = إشار إلى مصدر لبيت الناجم: ابن أبي عون ١١٨.
- ص "٥٢٧" س ٢٢ = بآخر الحاشية الرقم (٤) أضاف: وله مقطعات في عائب في الجواهر ١٠٨.
- ص "٥٢٩" س ١٧ = أضاف في الحاشية الرقم (١): وفي المحاضرات ٣٣٥/٢ لآكل المرار.

- ص "٥٣٩" س٧ = أشار إلى اسم أبي سدرة الأعرابي ، وقال : أبو سدرة سحيم بن الأعراف من بني الهجيم بن عمرو بن تميم ، فرحة الأديب ٢٠ ب ، ٥٥ ب.
- ص "٥٧٥" س١١ = أشار ضمن انتساب البيت إلى أبي حرجة الفزاري إلى آخر ، وقال : وفي إنباه الرواة في ترجمة المفضل عن أبي حاتم أنها لأرطاة بن سهية أو لقتيبة بن الحصن الكلبي.
- ص "٥٧٨" س١٩ = أضاف في الحاشية الرقم (٣) ... ثم وجدت في طبقات ابن المعتز ١٤٠ بيتاً تدل على أنّ كنيته كانت أبا سعد ، لا أبا سعيد.
- ص "٥٨٤" س١٦ = أشار ضمن بيت حماسي إلى طبعته الأخرى في الحاشية الرقم (١) : ط كلكته ص٢٢٦.
- ص "٥٨٤" س١٨ = ضمن الحاشية الرقم (٣) ... في الاختيارين رقم ٤٣ ص ١١٧ .
- ص "٥٨٩" س٢٠ = محاميات : "وهو تصحيف" من السطر.
- ص "٥٩٣" س١٦ = أضاف قبل الحاشية الرقم (١) حاشية أخرى لبيت :  
سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا      فإنّ بها ما يدرك الماجد الوترا  
(X) أنشدها ابن عساكر ١٧٦/٧ ، وروي خبر أبي الهيثم على طوله ، وانظر تضميناً لها ٣٥٩/٧.

- ص "٥٩٥" س ٢ = أشار مصدر البيت للأخيطل إلى ابن أبي عون .١٩٦
- ص "٥٩٥" س ١٥ = أضاف في الحاشية الرقم (١) كذا سمّاه ابن المعتز، وترجم له في المحدثين ١٩٥ ، والخطيب ٢٩٣٣ .
- ص "٥٩٥" س ١٧ = بعد "في مجموعة المعاني ١٩٤" ، أضاف : وطبقات ابن المعتز.
- ص "٦٠٢" س ١٧ = ضمن كنية أبي عطاء أورد : كذا، ولكن رأيت في كنى الشعراء لابن حبيب أنّ كنية أبي عطاء أبو مرزوق، ولعله الأصل. (وبعد هذه الإفادة وقع هنا الميمني خلافاً لعادته).
- ص "٦٠٦" س ٢٠ = أضاف بأخر الحاشية من الصفحة السابقة : وخيل أبي عبدة ١٥٧ ، وتام الكلمة في منتهى الطلب.
- ص "٦١٠" س ١٤ = أخبرنا أنّ بيت رجل من بني شيبان المذكور هنا ورد في الحيوان ٨٥/٤ .
- ص "٦١١" س ١٢ = ورد هنا بيت لبعض البصريين ، وأفادنا الأستاذ أنه في أخلاق الوزيرين ٤٠٥ للبصير. وفي حاشيته أشار إلى أمالي ابن دريد ٩٦ .
- ص "٦١٢" س ٢٢ = أضاف بعد... ولأبي العميثل في طبقات ابن المعتز ١٣٦ .

#### (للبحث صلة)

الهوامش :

❖ إسلام آباد - باكستان.

\* العروبة :

البيت الأول مختل بهذه الصورة ، لم نجد في المصادر التي لدينا ما يعيده إلى صورته الصحيحة ، ويستبعد أن يكون الخلل من الراجكوتي. ولعل صورته الصحيحة هي :  
بكيث بعين لم يصبها أذى فما .....

## دور العلماء والفقهاء ومكانتهم

عند عبد العزيز بن مروان

٦٥هـ-٨٥هـ/٦٨٤م-٧٠٤م

بقلم: د. حميد مرعي الصوفي ❖

### المقدمة :

لقد حثني اهتمامي بتاريخ مصر الإسلامي أن أكتب عن هذه الولاية منذ عصر صدر الإسلام سيما وأنها كانت ذات أهمية كبيرة للدولة العربية الإسلامية في عصورها الأولى وشاركت في أحداثها التاريخية الكبيرة. فلقد كانت قاعدة لنشر الإسلام في بلاد المغرب العربي (أفريقية)، لذا فقد احتشد فيها منذ وقت مبكر العديد من الصحابة وأبنائهم من التابعين فشاركوا في أحداثها العامة وساهموا في نشر الإسلام في ربوعها.

وكان لعبد العزيز بن مروان دور مع هؤلاء الرجال لذا جاء بحثي الموسوم " دور العلماء والفقهاء ومكانتهم عند عبد العزيز بن مروان والي مصر ٦٥-٨٥هـ " ليلسط الضوء على مجموعة من هؤلاء الرجال ودورهم في الحياة السياسية والدينية والإدارية، ومشاركتهم مجلس عبد العزيز بن مروان بكثير من الآراء التي ارتقت بإدارته إلى مستويات نوعية بين الولاة. وتضمن البحث تمهيداً ومبحثين، فأما التمهيد فهو عن وضع مصر في

عهد الخليفة مروان بن الحكم وجهوده في إعادتها إلى حظيرة الدولة الأموية واستعمال عبد العزيز بن مروان عليها.

فيما تناول المبحث الأول دراسة في سيرة عبد العزيز بن مروان وأهم أعماله الخدمية بمصر.

وجاء المبحث الثاني ليركز على دور العلماء والفقهاء ورواة الحديث في مصر ومكانتهم عند عبد العزيز بن مروان. وخلص البحث الى خاتمة لأهم ما جاء فيه من معلومات.

#### تمهيد:

بعد أن أعاد الخليفة مروان بن الحكم سيطرته على الشام إثر معركة مَرَج رَاهِط<sup>(١)</sup>، كان هدفه التالي استرداد مصر التي كانت تابعة لابن الزبير قسراً، وكان هذا الهدف يدل على حسن تدبير، فلمصر أهميتها الكبيرة لأن في إعادتها دعم لموقفه في مواجهة ابن الزبير، ولم يكن ذلك صعباً عليه فمعظم المصريين هواهم مع بني أمية وبيعتهم لابن الزبير لم تكن خالصة وإنما كانت بيعة ضرورة<sup>(٢)</sup>. وفي ذلك يقول الكندي: "لما قدم عبد الرحمن بن جحدم<sup>(٣)</sup> والياً على مصر من قبل ابن الزبير، ومعه الخوارج الذين لا يجمعهم وابن الزبير إلا العداة لبني أمية، بايعه الناس على غلٍ ثم دعا شيعة بني أمية مروان سراً<sup>(٤)</sup> وهذا ما يفسر سهولة استرداد مروان لمصر، فسار مروان بجيشه ومعه عدد من القادة<sup>(٥)</sup> ودارت بين مروان وابن جحدم عدة معارك انتصر فيها مروان وهرب ابن جحدم ثم جاء إلى مروان طالباً العفو عنه على أن يخرج إلى مكة فعفا عنه وكان ذلك قد

حدث في سنة (٦٥هـ / ٦٨٤م) وأمضى مروان في مصر شهرين لترتيب أوضاعها والاطمئنان عليها<sup>(٦)</sup>.

ولما نوى مروان العودة إلى الشام عين ابنه عبد العزيز والياً عليها وأوصاه وصايا تدل على حكمة وخبرة واسعة في مجال السياسة، وكان عبد العزيز قد توجس وأخذته وحشة في بقاءه بمصر فقال لأبيه: "يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلدٍ ليس به أحد من بني أبي؟ فقال له: يا بني، عُمَّهم بإحسانك يكونوا كلهم بني أبيك، واجعل وجهك طلقاً تصفُ لك مودتهم، وأوقع إلى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن عيناً لك على غيره وينقاد قومه إليك، وقد جعلت معك أخاك بشراً مؤنساً، وجعلتُ موسى بن نصير<sup>(٧)</sup> وزيراً ومشيراً، وما عليك يا بني أن تكون أميراً بأقصى الأرض، أليس أحسن من إغلاق بابك وخمولك في منزلك"<sup>(٨)</sup>.

ويروى أن عبد العزيز بن مروان قال: "أوصاني مروان عند خروجه من مصر إلى الشام فقال: أوصيك بتقوى الله في سرِّك وعلانيتك فإنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأوصيك ألا تجعل لداعي الله عليك سبيلاً، فإنَّ المؤذنين يدعون إلى فريضة افترضها الله عليك، إنَّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وأوصيك أن لا تعد الناس موعداً إلا أنفذته وإن حُمِلت على الأسنة، وأوصيك أن لا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير، فإنَّ الله عَلَيْكَ لو أغنى أحداً عن ذلك لأغنى نبيّه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك بالوحي الذي يأتيه، قال الله عَلَيْكَ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٩)</sup><sup>(١٠)</sup>.

وفي وصية أخرى من مروان لابنه عبد العزيز جاء فيها: "أي بني انظر إلى

عُمَّالِكَ فَإِنْ كَانَ لَهُمْ عِنْدَكَ حَقٌّ غَدَوَةٌ لَا تُؤَخِّرُهُمْ إِلَى عَشِيَّةٍ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ عَشِيَّةٌ فَلَا تُؤَخِّرُهُمْ إِلَى غَدَوَةٍ، وَأَعْطَهُمْ حَقُّوقَهُمْ عِنْدَ مَحَلِّهَا، تَسْتَوْجِبُ بِذَلِكَ الطَّاعَةَ مِنْهُمْ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَظْهَرَ لِرَعِيَّتِكَ مِنْكَ كَذِبٌ فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرَ لَهُمْ مِنْكَ كَذِبٌ لَمْ يَصْدُقُواكَ فِي الْحَقِّ، وَاسْتَشِرْ جُلَسَاءَكَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَبِنْ لَكَ فَارْتَبِطْ بِالَّذِي يَأْتِيكَ رَأْيِي فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَإِنْ كَانَ بِكَ غَضَبٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ فَلَا تُؤَاخِذْهُ بِهِ عِنْدَ فُورَةِ الْغَضَبِ، وَاحْبَسْ عَنْهُ عَقُوبَتَكَ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبَكَ ثُمَّ يَكُونُ مِنْكَ مَا يَكُونُ وَأَنْتَ سَاكِنٌ الْغَضَبِ مُنْطَفِئُ الْجَمْرَةِ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَعَلَ السِّجْنَ كَانَ حَلِيمًا ذَا أَنْفَةٍ. ثُمَّ انْظُرْ إِلَى ذَوِي الْحَسَبِ وَالِدِينِ وَالْمُرُوءَةِ فَلْيَكُونُوا أَصْحَابَكَ وَجُلَسَاءَكَ، ثُمَّ ارْفَعْ مَنَازِلَهُمْ مِنْكَ عَلَى غَيْرِهِمْ عَلَى غَيْرِ اسْتِرْسَالٍ وَلَا انْقِبَاضٍ، أَقُولُ هَذَا وَاسْتَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ"<sup>(١١)</sup>.

إِنَّ وَصَايَا مَرْوَانَ لِابْنِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَمَثَّلُ خِلَاصَةً تَجَارِبِهِ وَخَبْرَتِهِ الطَّوِيلَةَ فِي السِّيَاسَةِ وَالْحُكْمِ وَتَفْصِيحَ عَنْ جَانِبٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ فَهُوَ لَمْ يَنْسَ أَنْ يُذَكِّرَ ابْنَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّزَامِ الصَّلَاةِ، وَعَدَمِ إِهْمَالِهَا، كَمَا أَوْصَاهُ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ وَالْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ وَاسْتِشَارَةِ ذَوِي الرَّأْيِ السَّيِّدِ وَالْعَقْلِ الرَّاجِحِ فِي أَيِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدَّوْلَةِ"<sup>(١٢)</sup>، وَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَهْمِيَّةِ وَمَكَانَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ.

### المبحث الأول

#### عبد العزيز بن مروان، سيرته وأهم أعماله

هو: عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس



ويكنى أبو الأصبع ولد في المدينة ، وأمه ليلى بنت زيان بن الأصبع بن عمرو ابن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن خطاب الكلبي. دخل الشام مع أبيه مروان وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك ، ولآه أبوه الديار المصرية سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م واستمر والياً عليها حتى وفاته سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م<sup>(١٣)</sup>. ولما مات الخليفة مروان ، بُويع من بعده ابنه عبد الملك فأقر أخاه عبد العزيز على مصر ، ومما جاء في وصايا عبد الملك لأخيه ، وصية جاء فيها : "أبسط يشرِك ، وألف كنفك ، وآثر الرفق في الأمور فإنها أبلغ بك وأنظر حاجبك فليكن خير أهلك... وإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ بالسلام ، وإذا انتهى إليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فإنها تفتح مغاليق الأمور ، وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته"<sup>(١٤)</sup> ، ثم كتب إليه يوصيه : "انظر من تجعل حاجبك ولا تجعله إلا عاقلاً فهماً مفهوماً ، صدوقاً لا يورد عليك كذباً ، يحسن الأداء إليك ، والأداء عنك ، ومُرّه ألا يقف أحد ببابك من الأحرار إلا أخبرك ، حتى تكون أنت الأذن له أو المانع ، فإن لم يفعل كان هو الأمير وأنت الحاجب ، وإذا خرجت إلى أصحابك فسلم عليهم يأنسوا بك ، وإذا هممت بعقوبة ، فتأن فيها ، فإنك على استدراكها قبل فواتها أقدر على انتزاعها بعد فواتها"<sup>(١٥)</sup>. ولا شك أنّ هذه الوصايا تنم عن عقلية كبيرة حيث يبين له الأسس الناجحة لإدارة ولايته وكيفية اختيار موظفيه ، ومشاورة العقلاء وأهل العلم<sup>(١٦)</sup>.

ومن هذه المدرسة تعلّم عبد العزيز الكثير وأفاد منها فائدة كبيرة في مجال العقل والحكمة وفي ذلك يقول : "مَنْ لم يتلفظ بثلاث لم ينته لشيء :

الإسلام، والقرآن، والشيب (الكبر)"<sup>(١٧)</sup>.

وفي معرفته بالرجال قال: "ما تأملني رجل قط إلا سألته عن حاجته ثم كنت من ورائها"<sup>(١٨)</sup>. يستدل من ذلك على كرمه وجوده، ومن ذلك أنه مرّ بأحياء الفسطاط فسمع امرأة تصيح بابنها: "يا عبد العزيز، فوقف وقال من المسمى باسمنا؟ ادفعوا إليه خمسمائة دينار، فما ولد في تلك الأيام ولد بالفسطاط إلا سمي به"<sup>(١٩)</sup>.

وكانت تنصب حول داره كل يوم الكثير من الجُفن والقصع للأكلين، وتُحمل مائة جفنة (قصعة) على العجل يطاف بها على القبائل في أحياء وخطط الفسطاط واستمر على ذلك إلى وفاته<sup>(٢٠)</sup>.

وفي ذلك أنشد أحد الأعراب الذي مرّ بمضافة عبد العزيز بن مروان قائلاً:  
"كل يوم كأنه يوم أضحي عند عبد العزيز أو يوم فطر  
وله ألف جفنة مترعات كل يوم تمدها ألف قدر"<sup>(٢١)</sup>  
وكان ينتقد البخل والبخلاء وثقيلاً عليهم، ومما جاء في وصفه للبخلاء قوله: "لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم إلا سوء ظنهم بالله وَكَلَّ لكان عظيماً"<sup>(٢٢)</sup>. وسكن عبد العزيز بن مروان في خطة من خطط الفسطاط تقع في سوق الحمام غربي الجامع، وبنى فيها داراً كبيراً سنة ٦٧هـ/٦٨٦م، وأطلق عليها دار الذهب إذ جعل لها قبة مذهبة، إذا طلعت عليها الشمس لا يتمكن الناظر التأمل فيها خوفاً على بصره، وكانت تعرف بالمدينة لسعتها وعظمتها<sup>(٢٣)</sup>.

كان عبد العزيز بن مروان أميراً على مصر بصلاحيات واسعة وجمع بين

الإمارة والخراج وتصرف في ولايته تصرفاً مطلقاً وكرس مواردها المالية لدعم إدارته والنهوض بمستوى الخدمات العامة فيها<sup>(٢٤)</sup>.

ومن أهم أعماله، توسعة المسجد الجامع، ففي سنة ٧٩هـ/٦٩٨م زاد فيه من ناحية الغرب وأدخل عليه الرحبة التي كانت في بحريه ولم يجد في شرقيّه موضعاً يوسعه به<sup>(٢٥)</sup>.

ويعدّ عمر بن عبد العزيز أول من سنّ التعريف بمصر، فكان يجمع الناس في المسجد الجامع عشية عرفة، يدعو لهم ويوعظهم، وكان أول من سنّ التعريف في مساجد الأمصار وبيت المقدس عبد الملك بن مروان<sup>(٢٦)</sup>.  
ومن أعماله الإكثار من بناء الحمامات في الفسطاط منها حمام التبن، وحمام سهل، وحمام زبان<sup>(٢٧)</sup>. ثم بنى عبد العزيز بن مروان دار الضيافة واهتم بحداثتها<sup>(٢٨)</sup>.

ولما وقع الطاعون بأرض مصر خرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط قاصداً مكاناً يدعى حلوان فبنى المدينة المعروفة بهذا الاسم بعد أن اشترى موضعها من القبط بعشرة آلاف دينار وبنى بها دار الإمارة والجامع وأنزل بها الجنود والحرس، وأغرس فيها الزرع والنخل والكرم<sup>(٢٩)</sup>. وحلوان مدينة نزهة كثيرة الزرع، على شواطئ النيل لا تبعد عن الفسطاط كثيراً<sup>(٣٠)</sup>. ومما اعتنى به عبد العزيز بن مروان إدامة وتطوير جزيرة الروضة الخاصة بعمل السفن وشحنها بالفعلة والرجال<sup>(٣١)</sup>.

ولما زار الإسكندرية سنة ٧٤هـ/٦٩٣م واطلع عليها وسأل عن تاريخها حاول إعمارها من خلال فرض ضرائب على أهلها إلا أنّ ذلك لم يتم<sup>(٣٢)</sup>.

وكان من سياسة عبد العزيز بن مروان تشجيع الزراعة والغرس ، لذا اهتم بكل ما من شأنه أن يساهم في زيادة النشاط الزراعي ، فبنى العديد من القناطر بمصر منها قنطرة على خليج أمير المؤمنين بناها سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م ، وكتب اسمه عليها<sup>(٣٣)</sup> ، وابتنى في هذا العام العديد من القناطر على نهر النيل منها قنطرة بني وائل ، وكلها اقترنت باسمه<sup>(٣٤)</sup> .

واهتم بوضع وإدامة مقاييس مناسب نهر النيل ، فوضع مقياساً على النيل بجلوان وهو صغير الذراع ، وللمقاييس المنتشرة على نهر النيل أثر في معرفة كمية المياه اللازمة للزراعة<sup>(٣٥)</sup> .

وكان للأسواق حظاً من اهتمامه ، فلقد انحسرت مياه النيل عن أرض تجاه الجامع في الفسطاط فأمر ببناء قيساريات وأسواق فيها ، ومن هذه القيساريات قيسارية العسل ، وقيسارية الحبال ، والقيسارية التي يباع بها البز : نوع من القماش ، وهي التي تعرف بقيسارية عبد العزيز ، وقيسارية الكباش<sup>(٣٦)</sup> .

وفي مجال السياسة المالية أمر عبد العزيز بن مروان بالجزية فأخذت من الرهبان ، وأجرى تعديلات على النظام الضريبي في مصر فيما يخص ضريبي الجزية والخراج استناداً إلى توجهات دار الخلافة في دمشق خلال خلافة عبد الملك بن مروان ، كما أعاد ترتيب ديوان الجند لضبط أعداد جند مصر وأعطياتهم وأرزاقهم<sup>(٣٧)</sup> .

وهكذا أمضى عبد العزيز بن مروان مدة إمارته على مصر بالعمل الدؤوب والتفاني في خدمة أهل مصر من مسلمين وغيرهم ، ولم يعكر صفو هذه المدة سوى محاولة عبد الملك تنحيته عن ولاية العهد ، كما يذكر

المؤرخون، وسواءً صدقت الرواية أم لا، فإن ذلك لم يتحقق فلقد أدركت المنية عبد العزيز عام ٨٥هـ/٧٠٤م فانتقلت ولاية العهد إلى أبناء عبد الملك<sup>(٣٨)</sup>، ويبدو أن العائلة الأموية لم تنسَ خدمات عبد العزيز بن مروان للدولة لذا أعادت حقه في الخلافة عندما بايعت ابنه عمر بن العزيز بالخلافة سنة ٩٩هـ/٧١٧م.

## المبحث الثاني

### دور الفقهاء والعلماء ومكانتهم عند عبد العزيز بن مروان

زخر العصر الأموي منذ مطلعته بكثير من العلماء والفقهاء ويأتي في مقدمتهم عدد من الصحابة الذين عاصروا هذه الدولة، وجيل من التابعين الذين أخذوا عنهم وورثوا منهم ونشروا علومهم. ويلاحظ أن أبرز الخلفاء الأمويين كانوا علماء مثل معاوية بن أبي سفيان الصحابي الجليل وكاتب رسول الله ﷺ، ومروان بن الحكم، وأولاده عبد العزيز، وعبد الملك، وعمر بن عبد العزيز وآخرين. وكان بعض العلماء والفقهاء من التابعين قريبين من الحكام والمشيرين عليهم والناصحين لهم، وتولى قسم منهم وظائف الحكم في الإدارة والقضاء والشرطة، وكان بعضهم بمثابة الوزراء للحكام. وطالما أكد خلفاء بني أمية على ولاة عهودهم وولاتهم بملازمة أهل العلم واستشارتهم في أمورهم، جاء ذلك من خلال وصاياهم، فذاك الخليفة مروان بن الحكم يوصي ابنه عبد العزيز بن مروان عندما استعمله على مصر بقوله:

"...واستشر جلساءك وأهل العلم..."<sup>(٣٩)</sup>، وفي موضع آخر من الوصية يقول: "...ثم انظر إلى ذوي الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك، ثم ارفع منازلهم منك على غيرهم على غير استرسال ولا انقباض..."<sup>(٤٠)</sup>.

ويأتي القضاء في مقدمة الرجال الذين أنزلهم عبد العزيز بن مروان منزلة ومكانة، وهم كل من: عابس بن سعيد، وبشير بن النضر، وعبد الرحمن بن حجيرة، ويونس بن عطية، وأوس ابن أخ يونس وعبد الرحمن بن معاوية بن حديج مرتبين بحسب مدة استعمالهم على القضاء وأحياناً على الشرطة والقضاء<sup>(٤١)</sup>. وفيما يلي ترجمة لكل واحد منهم:

❖ عابس بن سعيد بن يزيد بن يغوث بن جزء بن معاوية بن ذؤيب ابن مالك بن عامر بن عوف بن ذهل المرادي ثم الغطيفي، تولى القضاء والشرطة لمسلمة بن مخلد، وأقره عبد العزيز بن مروان على القضاء والشرطة في عهده<sup>(٤٢)</sup>. وحينما وفد عبد العزيز على أخيه عبد الملك بن مروان سنة ٦٧هـ/٦٨٦م فرض عابس نائبه وصاحب شرطته فروضاً فزاد في أعطيات الناس من الجند، ولما لقيه عبد العزيز بعد قدومه، قال له: "ما حملك على ذلك؟ قال: أردتُ أن أثبت وطأتك ووطأة أخيك، فإذا أردت أن تنقصه فافعل فقال عبد العزيز: ما كنا لنرد عليك شيئاً فعلته"<sup>(٤٣)</sup>، وتوفي عابس سنة ٦٨هـ/٦٨٧م.

❖ بشير بن النضر بن بشير بن عمرو بن زيد بن ملحمة بن عمرو بن كرب بن أفدك بن عثمان المزني، قاضي مصر لعبد العزيز بن مروان،

وكان أبوه ممن شهد فتح مصر، توفي بشير سنة ٦٩هـ/٦٨٨م أو ٧٠هـ/٦٨٩م<sup>(٤٤)</sup>.

❖ عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني المصري يكنى أبا عبد الله وهو خولاني من بني يعلى بن مالك، روى عن ابن عمر، وعقبة بن عامر، وأبي ذر، وروى عنه ابنه عبد الله، توفي في المحرم سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، وكان عبد العزيز بن مروان قد جمع له القضاء والقصاص وبيت المال، فكان يأخذ رزقه في القضاء مئتي دينار وفي القصاص مثلها، وفي بيت المال مثلها، وعطاؤه مثلها، وجائزته مثلها، وعلى ذلك يأخذ في السنة ألف دينار لم يكن يحول عليه الحول وعنده ما تجب الزكاة فيه، لأنه كان يُفضلُ على أهله وأخوته، وعن مكانته فقد كان أفقه الناس. ويروى أن رجلاً من أهل مصر سأل ابن عباس عن مسألة، فقال له: أتسألني وفيكم ابن حجيرة<sup>(٤٥)</sup>!

❖ مالك بن شراحيل بن عمرو بن أسلم بن قيس بن عداس بن نصر ابن منصور بن همدان الهمداني وحليف خولان جعله عبد العزيز بن مروان على القضاء سنة ٨٣هـ/٧٠٢م بعد موت ابن حجيرة وجمع له القضاء والقصاص، ويعرف أيضاً بمالك بن أبي السمع الخولاني، له إدراك، وشهد فتح مصر واختط بها، وكان من جلساء الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسند عبد العزيز بن مروان إليه رئاسة الجيش الذي خرج بإمرته لمساندة جيش الحجاج لمقاتلة ابن الزبير بمكة سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، وله مسجد في مصر يُقال له مسجد مالك الخولاني يعرف به. كان يحظى

بمكانة كبيرة لدى عبد العزيز بن مروان ويبحث إليه كل سنة بحلل وثياب ، وكذلك كان يفعل الحجاج بن يوسف والي العراق إضافة إلى ثلاثة آلاف درهم سنوياً لما له من مكانة في الفقه والقضاء ، توفي سنة ٨٥هـ / ٧٠٤م<sup>(٤٦)</sup> .

❖ يونس بن عطية بن أوس بن عرفج بن ضمارة بن مرثد بن أسد بن رجب بن وائل بن زيد الحضرمي من المئة الأولى من التابعين وولاه عبد العزيز بن مروان القضاء وأضاف إليه الشرط ، وكان كثير التلاوة بليغاً ، روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه توفي سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م<sup>(٤٧)</sup> .

❖ أوس بن عبد العزيز بن عطية ، ابن أخ يونس بن عطية ، وولاه عبد العزيز بن مروان القضاء وولى عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الشرط ، فأقام أوس بالقضاء شهرين ونصف ثم صرفه عبد العزيز بعد موت عمه وأضاف القضاء إلى والي الشرط عبد الرحمن بن معاوية في أواخر سنة ٨٥هـ / ٧٠٤م. وكان عبد الرحمن بن معاوية قد أناب أوس بن عبد العزيز على الفسطاط ، وهو أول من نظر في أموال اليتامى وجعل عريف كل قوم مسؤولاً عنها وكتب بذلك وأشهد<sup>(٤٨)</sup> . وتوفي عبد الرحمن بن معاوية سنة ٩٥هـ / ٧١٣م<sup>(٤٩)</sup> .

❖ مرثد بن عبد الله اليزني المصري ويكنى أبا الخير ، كان يروي عن أبي أيوب الأنصاري وأبي بصرة الغفاري ، وزيد بن ثابت ، وعقبة بن عمار ، وهو مفتي أهل مصر وكان مقدماً عالماً فقيهاً يجلسه عبد العزيز ابن مروان للفتيا ويحضر مجلسه ، توفي سنة ٩٠هـ / ٧٠٨م<sup>(٥٠)</sup> .



هذا ومن المناسب ذكر الخصال التي من الواجب أن تتوفر في القاضي  
"وهي أربع خصال إن أخطأ واحدة كان وصماً: أن يكون ورعاً، وأن  
يكون عالمًا، وأن يكون فهمًا، وأن يكون مسؤولاً عما لا يعلم"<sup>(٥١)</sup>.  
ومن الرجال الذين شاركوا في إدارة الولاية ولهم مكانة عند عبد العزيز  
ابن مروان:

❖ عمرو بن كريب بن صالح الرعيني، كان أحد المقدمين في أيام  
عبد العزيز بن مروان وجعل له أمرة الحرس والأعوان<sup>(٥٢)</sup>.  
❖ عبد الرحمن بن عتاهية بن خزر بن سعد بن معاوية بن أسامة بن  
سعيد التجيبي، كان على شرطة الفسطاط أيام عبد العزيز بن مروان<sup>(٥٣)</sup>.  
وفيما يلي عدد من الرواة والمحدثين ممن كانوا يحضرون في مجلس عبد  
العزيز بن مروان:

❖ علي بن رباح بن قصير اللخمي من أزد ثم من بني القشيب أحد  
التابعين، وكنيته أبو عبد الله، من أهل مصر، ولد سنة ١٥هـ/٦٩٦م عام  
اليرموك، فقد أحد عينيه في معركة ذات الصواري<sup>(٥٤)</sup> في البحر مع عبد الله  
ابن أبي السرح في سنة ٣٤هـ/٦٥٤م، سمع من عمرو بن العاص وعقبة  
ابن عامر وأبي هريرة وأبي قتادة وعدد من الصحابة. كان يفد لليمانية من  
أهل مصر على عبد الملك بن مروان، وكانت له منزلة كبيرة عند عبد  
العزيز بن مروان، وهو الذي عقد قران أم البنين بنت عبد العزيز بن  
مروان إلى ابن أخيه الوليد بن عبد الملك، أغزاه عبد العزيز أفريقية لنشر  
الإسلام وتعليمهم الدين توفي سنة ١١٤هـ أو ١١٧هـ/٧٩٢م أو ٧٣٥م<sup>(٥٥)</sup>.

❖ القراطيسي : الإمام الثقة المسند أبو يزيد يوسف بن يزيد بن كاحل ابن حكيم الأموي المصري القراطيسي مولى أمير مصر عبد العزيز بن مروان ، سمع أسد بن موسى وسعيد بن أبي مريم وعبد الله بن صالح كان عالماً أكثرًا مجوداً حدث عنه عبد الله بن جعفر بن الورد وعلي بن محمد الواعظ وآخرون ، يتصف بالصدق والثقة والعلم ، توفي سنة ٨٧هـ / ٧٠٥م<sup>(٥٦)</sup> .

❖ سلمان بن مقشر بكسر الميم مولى الأزدي مصري ، كان شريفاً مقدماً بالفسطاط عند عبد العزيز بن مروان ، وذكر أنّ له وفادة على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو من الثقة<sup>(٥٧)</sup> .

❖ سويد بن قيس التجيبي المصري ، روى عن معاوية بن حديج وابنه عبد الرحمن وابن عمر وغيرهم ، وروى عنه يزيد بن أبي حبيب ، وكانت له منزلة عند عبد العزيز بن مروان إذ كان يرسله في أموره ، روى له أبو داؤد والنسائي وابن ماجه<sup>(٥٨)</sup> .

❖ سفيان بن وهب الخولاني المصري ، كنيته أبو أيمن ، يقال : له صحبه إذ وفد على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وحدث عن عمر والزبير ، شهد فتح مصر ، وغزا المغرب في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، روى عنه يزيد ابن أبي حبيب والمغيرة بن زياد ، وقد طلبه أمير مصر عبد العزيز بن مروان ليحدثه فجيء به محمولاً من الكبر ، توفي سنة ٩١هـ / ٧٠٩م<sup>(٥٩)</sup> .

❖ زياد بن حنافة التجيبي أحد النبلاء والعقلاء ممن كان بمصر بعد افتتاحها وتم على يديه وآخرين الصلح بين أهلها والخليفة مروان بن

الحكم، وتولى شرطة مصر مكان عابس، واستخلفه عبد العزيز بن مروان على مصر حينما خرج إلى الشام وافداً على أخيه عبد الملك بن مروان فلم يلبث زياد غير قليل وتوفي سنة ٧٨هـ/٦٩٧م<sup>(٦٠)</sup>.

❖ بحير بن ذاخر بن عامر المعافري الأنصاري قدم إلى مصر في أيام معاوية بن أبي سفيان وغزا المغرب وعاد إلى مصر وسكن الفسطاط، روى عن عبادة بن الصامت وروى عنه أبو سفيان الشامي وابن لهيعة<sup>(٦١)</sup>.

❖ ذاخر بن عامر المعافري ثم الناشري، شهد فتح مصر، يروي عن عمرو بن العاص، وروى عنه ابنه بحير بن ذاخر<sup>(٦٢)</sup>.

❖ أبو كثير الرومي: هو أبو كثير بن مرة القرشي الأموي المصري مولى عبد العزيز بن مروان، كان عبد العزيز قد أسند إليه القصص بالإسكندرية، وكان ثقة، ويذكر أن عبد العزيز بن مروان قد كتب إلى كثير بن مرة وكان قد أدرك بجمص سبعين بدرياً من أصحاب رسول الله ﷺ، فكتب إليه أن يكتب بما سمع من أحاديث أصحاب الرسول ﷺ، ويكنى بأبي شجرة، ويلقب بالجلاح، توفي سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م<sup>(٦٣)</sup>.

❖ الشعبي: واسمه عامر بن شراحيل، كان حليماً فصيحاً بعثه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز في مصر وكتب إليه: "يا أخي إني قد بعثت إليك بالشعبي فانظر هل رأيت مثله قط". وكان الشعبي فقيهاً باللغة والحديث ماسكاً مفاتيحهما، لا يُملّ من مجلسه، استفاد عبد العزيز من بلاغته وفصاحته بالخطابة والبلاغة واللغة، توفي في سنة ١٠٤هـ/٧٢٨م<sup>(٦٤)</sup>.

❖ جناب بن مرثد بن زيد بن هاني الرعيني يكنى أبا هاني، أسلم في عهد النبي ﷺ، وهو ممن بايع معاذ بن جبل باليمن، شهد فتح مصر، وكان من المقدمين في عهد عبد العزيز بن مروان، وكان على حرسه، حدث عن معاذ بن جبل وحدث عنه بكر بن سواده، قتله الروم بالإسكندرية<sup>(٦٥)</sup>.

### الخاتمة

ما تقدّم يمثّل اهتمام الدولة الأموية بأموال الدين والرجال من العلماء والفقهاء بشكل عام، وأنّ خلفاء بني أمية وولادة عهودهم وولاتهم إنّما كانوا ينفذون توجهات الدولة ومنهجها آنذاك بالتقرب إلى الفقهاء والعلماء والاستماع إلى نصائحهم ومواعظهم ومشورتهم في الأمر، فضلاً عن استعمال عدد منهم في وظائف مهمة بالولايات كمثل القضاء والشرط وبيت المال، والقصاص، ورتاسة الجيوش وغيرها مما يستوجب مشاركة هؤلاء الرجال في نشر الدين الإسلامي وتعليم أبناء الشعوب المحررة أركان الدين الإسلامي وعباداته.

كان مجلس عبد العزيز بن مروان يزخر بالعلماء والفقهاء وهم خاصته في كل الأمور، ولم يكن ليقطع أمراً دون مشورتهم وإشراكهم فيه عملاً بوصايا والده الخليفة مروان بن الحكم ووصايا أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان، ولعل نجاح عبد العزيز بن مروان في إدارة مصر على مدى أكثر من عشرين عاماً مرجعه إلى ذلك.

وحظي العديد من هؤلاء الرجال بمكانة كبيرة عند عبد العزيز بن مروان، لذا أشركهم في إدارة ولاية مصر فمنهم القضاة، ومنهم أصحاب الشرط،

ومنهم من استعمله على بيت المال والقصص والحرس والأعوان إلى غير ذلك مما تتطلبه الإدارة من جهود وحسن إدارة وتدبير، فضلاً عن اهتمامه بالرواة وأهل الحديث من التابعين وتابعيهم، ولأجل ذلك كله انبرى عبد العزيز بن مروان لخدمة ولاية مصر وقبائلها من العرب حداً لم نلمس فيه تدمراً من إدارته البلاد لا من السكان المحليين ولا من القبائل العربية التي استوطنت مصر آنذاك.

#### الهوامش:

\* مدرس تربية - نينوى - معهد الفنون الجميلة للبنين - العراق.

(١) معركة مرج راهط: هي المعركة التي انتصر فيها الخليفة مروان بن الحكم الأموي على الضحاك بن قيس الفهري الذي خلع الأمويين في الشام وبإيعاز ابن الزبير، وقتل الضحاك في هذه المعركة. ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٩٢)، ٣٠، ٣٥.

(٢) عبد اللطيف: عبد الشافي محمد، العالم الإسلامي في العصر الأموي، دار السلام للطباعة والنشر، (القاهرة: ٢٠٠٨)، ١٣٢.

(٣) عبد الرحمن بن جحدم: والي مصر لابن الزبير وظل أهل مصر في طاعته قسراً إلى أن جاء مروان بن الحكم واستعاد مصر. ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت ٥٩٧هـ/١١٨٣م)، المنتظم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٢)، ٢٧/٦.

(٤) الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، (ت ٣٥٥هـ/٩٦٥م)، كتاب الولاية وكتاب القضاة، تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد الزبيدي، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٣)، ٤١، ٤٢.

(٥) المصدر نفسه، ٤٢.

- (٦) المصدر نفسه، ٣١، ٣٨؛ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت: ١٩٩٧)، ٢٧٣/٣؛ ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، دار الفكر، (بيروت: ١٩٨٦)، ٢٥٦/٨؛ وينظر: عبد اللطيف: مرجع سابق، ١٣٣.
- (٧) موسى بن نصير والي إفريقية وفتح الأندلس، توفي ٩٧هـ/٧١٦م.
- (٨) الكندي، مصدر سابق، ٤٧، وينظر: عبد اللطيف، مرجع سابق، ١٣٣.
- (٩) آل عمران: آية ١٥٩. (١٠) الكندي: مصدر سابق، ٣٨.
- (١١) ابن عبد ربه: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٨٣)، ٤٠/١.
- (١٢) عويس: عبد الحلیم، **بنو أمية في التاريخ بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي**، دار الكتاب الحديث، (القاهرة: ٢٠٠٨)، ١١٩، ١٢٠.
- (١٣) ابن قتيبة: مصدر سابق، ٨١؛ البلاذري: أحمد بن جابر بن داود، (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، (بيروت: ١٩٩٦)، ٣٣٤/٢؛ ابن كثير: مصدر سابق، ٧٠/٩؛ المقرئزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٧)، ٢٧٩/١؛ الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (ت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، (بيروت: ٢٠٠٢)، ٢٨/٤.
- (١٤) ابن الطقطقا: أبو جعفر محمد بن علي بن طباطبا، (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، **الفخري في الآداب السلطانية**، المكتبة التجارية، (القاهرة: ١٩٢٦)، ١٢٦؛ وينظر: الصلابي: علي محمد، **الدولة الأموية**، دار ابن الجوزي، (القاهرة: ٢٠٠٧)، ٦٨٨/١.
- (١٥) الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان، (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي (القاهرة: ١٩٦٤)، ٩١/١.

- (١٦) الصلابي: مرجع سابق، ٦٨٨.
- (١٧) الأبيشي: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):  
المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب (بيروت: ١٩٩٨)، ٢٨٠/١.
- (١٨) النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية  
الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٤)، ٣٢٢/١.
- (١٩) أبو حيان التوحيد: علي بن مهدي بن العباس، (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، البصائر  
والذخائر، تحقيق داود القاضي، دار صادر (بيروت: ١٩٩٨)، ١/٢.
- (٢٠) المقرئ: مصدر سابق، ٢٦٤/١؛ ابن أياس: محمد بن أحمد، (ت ٩٣٠هـ/  
١٥٢٣م)، نزهة الأمام في العجائب والحكم، تحقيق: محمد زينهم، مكتبة مدبولي  
(القاهرة: ١٩٩٥م)، ٢٠٢.
- (٢١) الزمخشري: جار الله (ت ٥٨٣هـ/١١٨٧م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار،  
مؤسسة الأعلمي (بيروت: ١٩٩١)، ٢٦٢/١.
- (٢٢) الجاحظ، المحاسن والأضداد، دار مكتبة الهلال، (بيروت، ٢٠٠٢)، ٢٣؛  
البيهقي: إبراهيم بن محمد، (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، المحاسن والمسائير، تحقيق  
محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات النهضة المصرية، (القاهرة: ١٩٩٦)، ٩٠.
- (٢٣) الكندي: الولاة، ١٤؛ الحموي: ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،  
معجم البلدان، دار صادر، (بيروت: ١٩٩٥)، ٦٧/٤؛ القلقشندي: أحمد بن  
علي بن أحمد، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار  
الفكر، (دمشق: ١٩٨٧)، ٤٩٩/١.
- (٢٤) خماس، نجدة، خلافة بني أمية في الميزان، دار طلاس، (دمشق: ٢٠٠٠)، ١٣٩.
- (٢٥) ابن عبد الحكم: أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م)،  
فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي (القاهرة: ١٩٩١)، ١٣١؛ المقرئ: مصدر  
سابق، ٤٥٦/٢.

- (٢٦) الكندي: الولاة، مصدر سابق، ١٥٠؛ الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (القاهرة: ٢٠٠٣)، ١٢٨/٢.
- (٢٧) ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ١١٢، ١٣٣.
- (٢٨) المصدر نفسه، ١٣٣.
- (٢٩) الكندي: الولاة، مصدر سابق، ١٤؛ المقرئزي: مصدر سابق، ٢٦٣/١؛ ابن أياس: مصدر سابق، ٢٠٢.
- (٣٠) الحميري: محمد بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة الثقافة (بيروت: ١٩٨٠)، ١٩٦/١.
- (٣١) المقرئزي: مصدر سابق، ٣١٨/٢.
- (٣٢) الكندي: فضائل مصر المحروسة، تحقيق أحمد العدوي وعلي محمد عمر، (القاهرة: ١٩٧٩)، ٧؛ المقرئزي: مصدر سابق، ٢٠٣/١.
- (٣٣) ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ١١٤؛ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة: ١٩٦٧)، ٣٤٩/١.
- (٣٤) المقرئزي: مصدر سابق، ٣١٨/٢.
- (٣٥) السيوطي: مصدر سابق، ٣٤٣/١.
- (٣٦) ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ١١٣، ١٣٦؛ المقرئزي: مصدر سابق، ٤٣٢/١؛ وينظر: عبيد: طه خضر، دراسات في التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي، مطبعة العلا، (موصل: ٢٠٠٨)، ١٣٦.
- (٣٧) المقرئزي: مصدر سابق، ٩٧/١، ١١٨، ٢٧٣/٣؛ وينظر: كاشف: سيده إسماعيل، عبد العزيز بن مروان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ٢٠٠٥)، ٦٩، ٧٠، ٨٣.
- (٣٨) ابن سعد: أبو عبد الله بن سعد بن منيع، (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٠)،



٢٣٣/٥ ؛ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر، (ت ٣١٠هـ/  
٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث  
العربي (بيروت: ١٩٦٧)، ٢٠٦/٥ ؛ ابن الأثير: مصدر سابق، ٢٣٤/٤.  
(٣٩) ابن عبد ربه: مصدر سابق، ٤٠/١.

(٤٠) المصدر نفسه، ٤٠/١.

(٤١) وكيع: أبو بكر محمد بن خلف بن حيان، (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م)، **أخبار القضاة**،  
تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، (القاهرة: ١٩٤٧)،  
٣٢٥/٢.

(٤٢) ابن يونس: عبد الرحمن بن احمد بن يونس، (ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م)، **تاريخ ابن  
يونس**، دار الكتب العلمية، (بيروت: ٢٠٠٠)، ٢٥٠/١ ؛ ابن ماكولا: سعد  
الملك أبو نصر علي بن هبة الله، (ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م)، **الإكمال في رفع الارياب  
عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، دار الكتب العلمية،  
(بيروت: ١٩٩٠)، ١٦/٦.

(٤٣) الكندي: الولاة، مصدر سابق، ١٤/١ ؛ وكيع: مصدر سابق، ٣٢٨/١.

(٤٤) وكيع: مصدر سابق، ٢٢٤/٣ ؛ ابن يونس: مصدر سابق، ٥٤٣/١ ؛ ابن حجر:  
أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)،  
**رفع الإصر عن قضاة مصر**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، (القاهرة:  
١٩٨٨)، ٣٨/١.

(٤٥) ابن يونس: مصدر سابق، ٢٩٩/١ ؛ ابن حجر، مصدر سابق، ٩٠/١.

(٤٦) المصدر نفسه، ٤٢٤/١ ؛ ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، (ت  
٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد، دار الكتب  
العلمية، (بيروت: ١٩٩٤)، ١٣٨/١.

(٤٧) وكيع: مصدر سابق، ٢٢٥/٣.

(٤٨) ابن حجر العسقلاني: **رفع الإصر عن قضاة مصر**، مصدر سابق، ٩٠/١.

(٤٩) ابن يونس: مصدر سابق، ٣١٣/١.

- (٥٠) المصدر نفسه، ٤٦٧/١؛ ابن حبان: أحمد بن حبان، (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م)،  
الثقة، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العلية العثمانية بإشراف محمد عبد المعيد  
خان، دائرة المعارف العثمانية (حيدر أباد: ١٩٧٣)، ٤٢٩/٥.
- (٥١) وكيع: مصدر سابق، ٧٨/١.
- (٥٢) ابن يونس: مصدر سابق، ٣٦٧/١؛ ابن ماكولا: مصدر سابق، ١٩٥/٥، لم  
يذكر تاريخ وفاته.
- (٥٣) المصدر نفسه، ٣٠٠/١، لم يذكر تاريخ وفاته.
- (٥٤) معركة ذات الصواري: أشار إليها الطبري في أحداث سنة ٣٤هـ، وهي المعركة التي  
وقعت بين أسطول العرب المسلمين وأسطول الروم البيزنطيين وانتصر المسلمون  
فيها، الطبري: مصدر سابق، ٣٣٠/٤٠.
- (٥٥) ابن يونس: مصدر سابق، ٣٦١/١؛ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت  
٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،  
دار إحياء التراث (بيروت: ٢٠٠٠)، ٣٩٤/٦.
- (٥٦) المصدر نفسه، ٥١٤/١. (٥٧) المصدر نفسه، ٥١٦/١ لم يذكر تاريخ وفاته.
- (٥٨) المصدر نفسه، ٢٢٧/١ لم يذكر تاريخ وفاته.
- (٥٩) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير  
أعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة: ٢٠٠٦)، ٤٥٣/٣.
- (٦٠) الزركلي: مصدر سابق، ٥٤/٣.
- (٦١) ابن يونس: مصدر سابق، ٥٨/١ لم يذكر تاريخ وفاته.
- (٦٢) ابن يونس: مصدر سابق، ١٦٤/١ لم يذكر تاريخ وفاته.
- (٦٣) ابن سعد: مصدر سابق، ٣١١/٣؛ ابن يونس: مصدر سابق، ٩٧/١.
- (٦٤) ابن الجوزي: مصدر سابق، ٣٦٢/٢.
- (٦٥) ابن يونس: مصدر سابق، ٩٤/١ لم يذكر تاريخ وفاته.

## شعر الأسعد بن مهاتى أخباره وما تبقى من شعره

(٢)

بقلم: د. عبدالحميد محمد بدران\*

معاني الشاعر:

لا نستطيع -مهما حاولنا- أن ننكر على الشاعر تأثيره بنص شعري سابق عليه ؛ لأنّ النصوص الرائدة هي التي أسهمت -وما زالت تسهم- في تشكيل وجدان الشعراء ، وموقفهم منها -إيجاباً وسلباً- هو الذي يساعد في دفع مسيرة العملية الشعرية على مر العصور، والشاعر مطالب بحفظ كثير من الأشعار، حتى يستقر في ذهنه ما راق من الأساليب الجيدة، لأنّ الشّعْر -باعتراف الجاحظ- "صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"<sup>(١)</sup>، ومن شأن الصناعة والنسيج أن توضع لهما شروط ضابطة، جعل منها ابن خلدون الحفظ من جنس شعر العرب وتعتمد نسيان ذلك المحفوظ، وذلك "حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها، ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب... ولا يعطيه

الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ، فمن قل حفظة أو عدم لم يكن له شعر، وإنما هو نظم ساقط، واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم، وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ، وربما يقال إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة، إذ هي صادة عن استعمالها بعينها، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها، انتقش الأسلوب فيها، كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم كان استخدام (الأخذ) في التعبير عن تأثر الشاعر بسابقه أوجه من السرقة والغصب وغير ذلك<sup>(٣)</sup> في نظر كثير من نقادنا القدامى، طالما أنه لا سبيل لتكوين الملكة الشعرية إلا بحفظ أشعار السابقين والسير على منوالها.

وقد كان الأسعد مغرمًا بأخذ المعاني الطريفة وصياغتها، ومن ذلك قوله في علم الدين بن الحجاج<sup>(٤)</sup>: {مجزوء الوافر}

حكى نهرين ما في الأر ض من يحكيهما أبدا

حكى في خلقه ثورى وفي أخلاقه بردى

فقد أخذ ابن ممتي معنى بيتيه هذين من قول بعضهم<sup>(٥)</sup>: {الكامل}

ضاهى ابن بشران مدينة جلق فكلاهما يوم الفخار فريد

ألفاظه بردى وصورة خلقه ثورى ونقص العقل منه يزيد

ولا يخفى ما في بيتي الأسعد من خفة موسيقية ، جلبها لهما مجزوء الوافر ، إضافة إلى جزمه بعدم محاكاة النهرين في الخلق والصفة إلا لشخص علم الدين بن الحجاج .

ومن المعاني الجيدة التي قصر فيها قوله<sup>(٦)</sup> : { البسيط }  
ما صرت أجسرُ أن أبكي لفرقتهم لأنهم زعموا أنّ البكا فرح  
فالمعنى مطروق قبل الأسعد بن مماتي ، يقول السهيلي تعليقا على قول  
السيدة عائشة رضي الله عنها : ( ما كنت أرى أحدا يبكي من الفرح حتى  
رأيت أبا بكر يبكي من الفرح ) : قالت ذلك لصغر سنها وأنها لم تكن  
علمت بذلك ، وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فأخذته استحساناً ، فقال  
الطائي يصف السحاب<sup>(٧)</sup> :

دهم إذا وكفت في روضة طفقت عيون أزهارها تبكي من الفرح  
وذكر لأبي الطيب وزاد على هذا المعنى<sup>(٨)</sup> :  
فلا تنكرن لها سرعة فمن فرح النفس ما يقتل  
وقال بعض المحدثين :

ورد الكتاب من الحبيب بأنه سيزورني فاستعبرت أجفاني  
غلب السرور علي حتى إنه من فرط ما قد سرني أبكاني  
يا عين صار الدمع عندك عادة تبكين في فرح وفي أحزان<sup>(٩)</sup>

وهؤلاء الشعراء - ومعهم الأسعد بن مماتي - قد تعرّضوا لصورة  
اجتماع البكاء مع الفرح ، مع اختلاف الغرض في القصائد ، لأنّ الطائي  
أحب أن يخلع على الطبيعة صفة الآدمية ، بما أنّ ماء المطر ينزل من عيون

الأزهار في الروضة ، ومن ثم فرحت بتلك السحابة التي لاحت في الأفق ، وأما قول المحدث فرغم تقصيره عن تصوير الطائي ، إلا أن صدق العاطفة يفرض نفسه في الأبيات ، وهو صدق يشعر به كل من يقف على البيت الأخير فيخاطب عينه متعجباً من حالها الذي أصبح يستوي فيه الحزن والفرح ، لأنها تبكي في الحالين ، وأما المتنبي فقد حاول في مقام المدح أن يستغل المعنى في إيلاف ما لم يؤلف ، لأن سيف الدولة قد ضرب خيمة عظيمة له بميفارقين فهبت ريح شديدة فوقعت الخيمة وتكلم الناس ، واستطاع المتنبي أن يقنع الجمهور بأن الفرح قد يقتل إذا بلغ الغاية كما حدث للخيمة<sup>(١١)</sup> . أما الأسعد بن مماتي فقد نسب هذا المعنى إلى الزعم ، وكأنه يستبعد وجوده ، فأحدث جفافاً للمعنى ، وحدة في العاطفة.

ورغم هيام الأسعد بالأخذ من معاني الغير ، فقد أبدع كثيراً من المعاني الجيدة ، ومن ذلك قوله على لسان إنسان في حاسد أعان عليه ثم توجع له<sup>(١١)</sup> : { الخفيف }

لا تُصيخُ للحسود في ندبه النعم      ممة مع كونه العجول إليها  
فهو مثلُ السحابِ إذ يسترُ الشمس      س عن العينِ ثم يبكي عليها  
وهو قريب من منهج أبي تمام في استخراج معانيه ، والجديد في الصورة هو ملاحظتها حركة السحاب والشمس ، ومراوغة السحاب في ستر الشمس ، ثم بكائه عند البحث عنها ، وليس ملاحظة حركة السحاب والأرض كما في قول ابن مطير الأسدي : { الخفيف }

كلّ يومٍ بأقحوانٍ جديدٍ      تضحك الأرض من بكاء السماء  
وروي عن أبي العباس المبرد أنه قال أخذ ابن مطير قوله تضحك  
الأرض من بكاء السماء من قول دكين الراجز: {الرجز}

جنّ النَّبات في ذراها وزكا

ضحك المزن به حتى بكى<sup>(١٢)</sup>

ومن المعاني الجيدة أيضاً قول الأسعد على البديهة<sup>(١٣)</sup>: {البسيط}  
لو أطلق الدمعَ مشتاقٌ ومدكراً      لمن يحب لأشْفِينَا على الغرقِ  
لكنما هذه الخلجانُ متأقّةٌ      لأنها رَشْحُ ما يَعْصِي من الحدَقِ  
ومن معانيه الجيدة أيضاً قوله في قصيدة (لامية عملها السديد)<sup>(١٤)</sup>:  
{السريع}

تبكي قوافي الشّعْر لاميةً      بيَّضَتْهَا من حيث سَوَدَّتْهَا  
لما علا وسواسُ ألفاظها      ظننتها جُنَّتْ فَقَيَّدَتْهَا  
وهذا معنى جيد، رغم اعتماده على المحسن البديعي، لأن التورية في قوله  
(فقيّدتها) قد أتت عفواً، ورشّح لها الشطر الأول، الذي أوحى بمعنى  
الحبس، من خلال وصفها بالوسواس والجنون، رغم أنّ الشاعر قصد  
التقييد بمعنى الكتابة، من شدة إعجابه بالقصيدة وجرس حروفها.

ومن المعاني التي حرص فيها الأسعد على اصطحاب (كاف التشبيه)  
قوله<sup>(١٥)</sup>: {الطويل}

وضاق عليّ السجن حتى كأنني      حللت به للضيّق في صدر محنق  
فيا ليتني كالدمع في جفن عاشق      فأخرج أو كالسر في صدر أحرق

والملاحظ أنّ قوله (فأخرج) ليس لها مكان هنا، لأنّ دمع العاشق عزيز لا يحتاج إلى تبرير، مهما كان إحساسه جيّاشاً، والصورة التالية أوضح من الأولى، لأنّ الأحمق لا يحتفظ بسرّه هو، فكيف يحتفظ بسرّ غيره؟ وقد أحسن الشاعر استغلال الصورة البصرية في معنى الهجاء في قوله<sup>(١٦)</sup>: {البيسط}

أراكم كحباب الكأس منتظماً      فما أرى جمعكم إلا على قدح  
ولعل جودة المعنى في البيت ترجع -فيما ترجع إليه- إلى حسن استغلال الشاعر نفس المفردات التي تشيع في بيئة الخمر كالكأس التي يتناثر الحباب على جسدها.

#### تكرار المعاني:

يلوح الخفاء سمة أساسية للنص الذاتي الذي توظفه آلة الشاعر كنص غائب في قصيدة أخرى، على الرغم من أنّ الشاعر هنا لا يعتمد إخفاءه، وإن كان في الوقت ذاته لا يريد أن يطلعنا على ذاته التي تأثرت بإبداعها وهي تكتب نصاً جديداً، لأنه على يقين من أنّ هذه الذات مطمئنة إلى أنها سوف تحرز الجديد في كل تأثر، أو ربما صدر منه هذا الأمر لا إرادياً في محاولة للتأكيد على صدور هذا الإبداع عن نفس واحدة وفكر ممتلئ، على النحو الذي يؤكد قول ابن طباطبا: "وربما أحسن الشاعر في معنى يبدعه فيكرره في شعره على عبارات مختلفة، وإذا انقلبت الحالة التي يصف فيها ما يصف، قلب ذلك المعنى ولم يخرج عن حد الإصابة فيه"<sup>(١٧)</sup>.



وقد عمد الأسعد إلى لون جيّد من ألوان تكرر المعاني ، وهو محاولته  
توظيف بعض المعاني الجيدة التي تناثرت في نشره ، باعتبار أنّ هذه المعاني  
نصوصاً غائبة في ذهنه ، يدل على ذلك قوله في إحدى مكاتباته : " ولم  
تزل متلاحقةً متسابقةً لتقفوا الأثر وتسمع الخبر ، إلى أن بدا سوسن الفجر  
ولاح ، وابتسم ثغر الصباح عن الأقاح ، وكاد ثعلبه يأكل عنقود  
الثريا"<sup>(١٨)</sup> ، فهذا المعنى قد تردد في قوله في وصف الثلج<sup>(١٩)</sup> : {المجتث }

لمارأت عينيّ الثلج — ج ساقطا كالأقحاحي

وصار ليل الثرى منه — أيضا كالأصباح

حسبت ذلك من ذو — ب در عقد الوشاح

أو من حباب الحميا — أو من ثغور الملاح

وقوله : " وأوجده السبيل إلى أن أبدى صحيفة وجه صبره مسوده ،  
وتمنى لو كان الموت قبل إخلافه وعده وإخلاقه وده ووده ، حتى جنى  
ورد ورود كتابه الكريم من انتظام شوك انتظاره ، ورفع ناظره بقدومه  
عليه على كافة أمثاله وأنظاره"<sup>(٢٠)</sup> ، فهذا المعنى قد تردد في قوله في مدح  
الأجل الفاضل من قصيدة<sup>(٢١)</sup> : {الخفيف }

من غدا الدهرُ باسمه باسمَ الزهرِ — ضحوكاً به بهارُ نهاره

لم يطفنا من برِّه وردٌ وعدٍ — لم يشنه انتظامُ شوك انتظاره

وأرى أنّ التكلف كان ظاهراً في البيت الثاني ، وبخاصة مع غرابة ذكر  
كلمة (ورد) مضافة إلى الوعد في الشطر الأول ، ثم الخضوع لإغراءات

صورة الورد بذكر الشوك بعد ذلك مضافا إلى انتظار تحقيق الوعد في الشطر الثاني.

### تداخل شعره في شعر غيره:

يعدّ التداخل والاختلاط ظاهرة من أخطر الظواهر التي تعوق توثيق النص الشعري، مما يجعله مشكلاً حتى على المتخصصين، فبعضهم يرويه لشاعر، وبعضهم يرويه لآخر، وقد تجد الروايتين في مكان واحد، وكل ذلك يرجع إلى الطريقة التي وصل بها الشعر القديم إلينا، فليس من شك في أنّ رواية الشُّعر إنما قامت على الذاكرة "وغير خاف عليك أنّ الذاكرة مهما أوتي صاحبها من القدرة لا تسلم من إدخال حدث في حدث مشابه له، قريب منه، أو إحلال كلمة محل أخرى، يترتب عليها نسبة الشُّعر إلى غير قائله" (٢٢).

وكل ما علينا أن نبذل مزيداً من الجهد حتى نردّ الأمر إلى أصحابه ما استطعنا، فربما ساعدت ثقافة الكاتب في كشف بعض الإيهام، وربما ساعد السياق والقرائن على نسبة الأبيات إلى قائلها الحقيقي؛ لأنّ التداخل قد يأتي من ناحية الأبيات ذاتها وزناً وقافية ومعنى، وقد يأتي من ناحية قائلها سواء بالأخذ من غيره، أو بتمثل الشُّعر، أو بالقرابة بينه وبين غيره، أو بنحله الشُّعر غيره، وقد يأتي من ناحية الحدث الذي قيلت فيه الأبيات سواء بالتشابه بينه وبين غيره، أو باتحاده.

وقد تداخل شعر الأسعد في شعر غيره، نتيجة لاعتبارات متعددة،  
تأتي المعاصرة على رأسها، فقد حدث تداخل بينه وبين ابن سناء الملك  
نتيجة صداقتهما في أبيات جاء فيها: {الرجز}

سمراء قد أزرت بكل أسمر بلونها ولينها وقدها  
أنفاسها دخان ندخالها وريقها من ماء ورد خدها  
لو كتب البدر إلى خدمتها ملطفاً ترجمه بعهدا  
فقد نسبها ابن خلكان للأسعد بن مماتي، ونسبها المحبي لابن سناء  
الملك، ومما يرجح أنها للأسعد قول ابن خلكان: "وجدت منسوبة إلى ابن  
سناء الملك، والصحيح أنها للأسعد بن مماتي"<sup>(٢٣)</sup>، وليس بعيداً عما قاله  
الأسعد في وصف مخدة ابن سناء الملك.

كما حدث تداخل بينه وبين الحافظ أبي الخطاب دحية، نتيجة تمثّل  
الثاني بقصيدة الأول، بجامع المدح في كل، فالقصيدة مدح بها الأسعد  
السلطان الملك الكامل، بينما مدح المتمثل بها الملك مظفر الدين بن زين  
الدين، على النحو الذي يبيده لنا قول ابن خلكان: وكان الحافظ أبو  
الخطاب ابن دحية المعروف بذي النسبين -رحمه الله تعالى- عند وصوله  
إلى مدينة إربل، ورأى اهتمام سلطانها الملك المعظم مظفر الدين ابن زين  
الدين -رحمه الله تعالى- بعمل مولد النبي ﷺ... صنّف له كتاباً سماه:  
"التنوير في مدح السراج المنير"، وفي آخر الكتاب قصيدة طويلة مدح بها  
مظفر الدين، أولها: {مجزوء الرجز}

لولا الوشاة وهم أعداؤنا ما وهموا  
وقرأ الكتاب والقصيدة عليه، وسمعنا نحن الكتاب على مظفر الدين  
في شعبان سنة ست وعشرين وست مئة والقصيدة فيه، ثم بعد ذلك رأيت  
هذه القصيدة بعينها في مجموعة منسوبة إلى الأسعد بن مماتي المذكور،  
فقلت: لعل الناقل غلط، ثم بعد ذلك رأيتها في ديوان الأسعد بكاملها،  
مدح بها السلطان الملك الكامل - رحمه الله تعالى - فقوي الظن. ثم إنني  
رأيت أبا البركات ابن المستوفي قد ذكر هذه القصيدة في تاريخ إربل عند  
ذكر ابن دحية، وقال: سألته عن معنى قوله فيها:

يفديه من عطا جما      دى كفه المحرم  
فما أحرار جواباً، فقلت: لعله مثل قول بعضهم:

تسمى بأسماء الشهور فكفه      جمادى وما ضمت عليه المحرم  
قال: فتبسم وقال: هذا أردت، فلما وقفت على هذا ترجح عندي أنّ  
القصيدة للأسعد المذكور، فإنها لو كانت لأبي الخطاب لما توقف في  
الجواب، وأيضاً فإنّ إنشاد القصيدة لصاحب إربل كان في سنة ست  
وست مئة، والأسعد المذكور توفي في هذه السنة...، وهو مقيم بحلب لا  
تعلق له بالدولة العادلية، وبالجملة فالله أعلم لمن هي منهما<sup>(٢٤)</sup>.

كما حدث تداخل بين الأسعد وبين العماد الأصبهاني، حيث ترددت ياقوت  
الحموي في نسبة دوييت من الرمل للأسعد بن مماتي جاء فيه<sup>(٢٥)</sup>:

يا غصن أراك حاملاً عود أراك      حاشاك إلى السواك يحتاج سواك  
قل لي: أنهاك عن محبيك نهاك      لو تم وفاك بـست خديك وفاك

حيث يقول ياقوت: "كذا وجدت له في أشعار مجموعة، وأنشدني هذين (الدوييت) بعض أهل الأدب، وذكر أنهما للعماد الأصبهاني الكاتب، وهما به أشبه، لأنهما في غاية الجودة، وابن ممتي، في طبقة شعره انحطاط جداً<sup>(٢٦)</sup>، والدوييت منسوب له في "الوافي بالوفيات"<sup>(٢٧)</sup>.

### المبحث الثالث

#### جمع شعر الأسعد

لم يكن تعقيبي على جمع شعر الأسعد سعياً وراء التفتيش عن العيوب ومحاولة إفشائها، لأنّ عناء البحث، وبخاصة عن شعر شاعر تناثرت أخباره على استحياء في كتب التراجم يستطيع أن يغفر أيّ زلة للباحث مهما كان قدرها، ولكنه كان محاولة لإعطاء رؤية أخرى، تضاف إلى جمع شعر الشاعر، فتنقذ كثيراً من النصوص التي عانيت في جمعها وتوثيقها للأسعد بن ممتي، أو تحكم على بعض النصوص بفقد الأهلية في الانتساب لهذا الشاعر، مما يعطي رحابة في الرؤية، وعمقاً في التوثيق، وقد رأيت أن يكون تعقيبي على جمع شعر الأسعد محصوراً في أربعة محاور:

أولاً- نسبة أبيات للشاعر أثبت البحث أنها لغيره: نتيجة خلط الباحث بينه وبين أبيه أو بينه وبين من أخذ عنه المعنى، فقد نسب جامعا الديوان قول الشاعر<sup>(٢٨)</sup>: {الكامل}

ضاهى ابن بشران مدينة جلق فكلاهما يوم الفخار فريد  
ألفاظه بردى وصورة خلقه ثورى ونقص العقل منه يزيد

إلى الأسعد بن مماتي ، والسبب في ذلك أنّ الأسعد كان مغرمًا بأخذ المعاني  
الطريفة وصياغتها ، فقد نظر إلى البيتين السابقين وهو ينظم قوله في علم  
الدين بن الحجاج<sup>(٢٩)</sup> : {مجزوء الوافر}

حكى نهرين ما في الأر ض من يحكيهما أبدا  
حكى في خلقه ثورى وفي أخلاقه بردى  
كما نسب الجامعان له قول أبيه<sup>(٣٠)</sup> : {الطويل}

حوى درب نور الدين كل شمردل مشددة أوساطهم بالزنانير  
بأوله للشهد والنحل منزل وآخره ياسادتي للزنانير  
مع تصريح كثير من المصادر بأنها للخطير بن مماتي والد الأسعد ، قال  
ياقوت قبل هذين البيتين : " وأنشدنا سعيد بن أبى الكرم المذكور ، قال :  
أنشدني الخطير أبو سعيد بن مماتي ، في ابن النحال أيضًا ، وكان يسكن ابن  
النحال في أول الدرب ، وكان في آخر الدرب صبي مثله في الحسن ، يعرف  
بابن زنبور"<sup>(٣١)</sup> .

ثانيًا- استدراك مجموعات من الأبيات لم يقف عليها البحث : رغم  
رجوع الجامعين إلى المصدر في مواطن متعددة ، ومن هذه الأبيات قول  
الأسعد في ذم العذار<sup>(٣٢)</sup> : {الوافر}

إذا طلع العذارُ فقد فقدنا لذاذة عيشنا الأرج البهيج  
لأنَّ الغصنَ لا يخضرُّ حتى يصيرَ بأصله مثلُ الوشيح  
وقوله يصف البق<sup>(٣٣)</sup> : {الطويل}

تكاد بقرصِ البقِّ تتلفُ مهجتي      إذا لم أُجدْ من ثوبِ جلدي التخلُّصا  
ومن أعجب الأشياءِ في البقِّ أنها      على الجسمِ سُمَّاقٌ وتُتبتُ حِمِّصَا  
وقوله<sup>(٣٤)</sup> : {الطويل}

لقد مرَّ لي في مصرَ يومٌ وليلةٌ      هما في مُحيا الدهرِ كالسحرِ في الطرفِ  
وما فيهما والله عيبٌ وإنما      تولاهما عُجْبٌ فذابا من الظرفِ  
وقوله أيضاً<sup>(٣٥)</sup> : {مجزوء الرجز}

قد نفث السحر السحر      وأشبهه الزهر الزهر  
وبلَّ كافور الندى      ثياب أوراق الشجر  
والعندليب منذ رأى      محرّم الروض صفر

فالنصوص الثلاثة الأولى منسوبة للشاعر في كتاب "خريدة القصر"، وهو مصدر معتمد عند الجامعين.

ثالثاً- نقد تعليق الجامعين على نسبة قصيدة أو مقطعة إلى صورة من بحور الشعر، على النحو الذي يبدو حين نسبها قصيدته التي مطلعها<sup>(٣٦)</sup> : (وإني سحر/ طيف سحر)، وهي على جزء واحد من الرجز إلى تام الرجز، على الرغم من أنّ الشاعر مسبوق في النظم على هذا الوزن بكثيرين، وهذا اللون يسمّى بالمنهوك<sup>(٣٧)</sup>، وقد سمّاه الدكتور أحمد الهيب متابعاً للجوهري بـ(المقطّع)<sup>(٣٨)</sup>، وأشار إلى أنّ الذي اخترعه هو سلم الخاسر المتوفى ١٨٦ هـ<sup>(٣٩)</sup> متابعاً ابن رشيق القيرواني في قوله: "وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزءين... حتى صنع بعض المتعقبين -أظنه علي بن يحيى أو يحيى بن علي المنجم- أرجوزة على جزء واحد

وهي : طيف ألم / بذي سلم / بعد العتم / يطوي الأكم... ويقال إن أول من ابتدع ذلك سَلَم الخاسر يقول في قصيدة مدح بها موسى الهادي :  
موسى المطر / غيث بكر / ثم انهمر / لما اغتفر"<sup>(٤٠)</sup>.

والصواب أن سلم الخاسر مسبق بأبي النجم العجلي المتوفى ١٢٠ هـ، كما ذهب إلى ذلك الصفدي ناسباً الأبيات التي تردّد فيها ابن رشيق له بقوله : "قلت أقصر ما صنع القدماء من الرجز ما كان على جزأين كقول دريد يوم هوازن : (يا ليتني فيها جذع)، حتى صنع أبو النجم أرجوزة على جزء واحد وهي مشهورة أولها : (طيف ألم / بذي سلم)، وقال بعضهم أول من أبدع ذلك سلم الخاسر يمدح الهادي بقوله :  
(موسى المطر / غيث بكر)<sup>(٤١)</sup>.

وقد تناول هذا الوزن بعده كثيرون، منهم عبد الصمد بن المعذل ٢٤٠ هـ، ومطلع أرجوزته : (قالت حيل / ماذا العمل)، وعلي بن الحسن الباخري ٤٧٦ هـ ومطلع أرجوزته : (باري الديم / بذي سلم)، والأسعد بن ممتي ٦٠٦ هـ ومطلع أرجوزته : (وافي سحر / طيف سحر)، وابن نباتة المصري ٧٦٨ هـ ومطلع أرجوزته : (أفدي قمر / عقلي قمر)<sup>(٤٢)</sup>.

كما حدث خلط من الجامعين حين نسبا إلى الشاعر مقطعة أخرى على وزن (الدوبيت)، معلقين على وزنها بأنه وزن خارج عن الأوزان المعروفة، وهو قول الشاعر :

يا غصن أراك حاملاً عود أراك حاشاك إلى السواك يحتاج سواك



قل لي: أنهاك عن محبيك نهاك لو تم وفاك بست خديك وفاك  
والراجع كما سبق أنها للعماد الأصبهاني، حيث يقول ياقوت: "كذا  
وجدت له في أشعار مجموعة، وأنشدني هذين (الدوبيت) بعض أهل  
الأدب، وذكر أنهما للعماد الأصبهاني الكاتب، وهما به أشبه، لأنهما في  
غاية الجودة، وابن ممتي، في طبقة شعره انحطاط جداً"<sup>(٤٣)</sup>، والدوبيت  
منسوب له في الوافي بالوفيات<sup>(٤٤)</sup>.

رابعاً- نقد أخطاء في رواية بعض الأبيات:

وقعت بعض الأخطاء في رواية بعض الأبيات، لعلها ترجع -فيما ترجع  
إليه- إلى رجوع الأستاذين إلى بعض الكتب حديثة التحقيق، والتي ينشأ  
التصحيف فيها من صعوبة قراءة النص المخطوط في بعض الألفاظ، ولكن  
هذا لا يعفي الجامعين من التحري والضبط، وبخاصة إذا ترتب على الخطأ  
اضطراب الوزن، على النحو الذي يبدو في قول الأسعد على لسان إنسان  
في حاسد أعان عليه ثم توجع له<sup>(٤٥)</sup>: {الحفيف}

لا تُصِخُّ للحسود في ندبه النعمة مع كونه العجول إليها  
فهو مثل السحاب إذ يستر الشمس عن العين ثم يبكي عليها  
فقد ورد البيتان في الجمع برواية:

لا تُصِغُّ للحسود في ندبه النعمة مع كونه المشوق إليها  
فهو مثل السحاب إذ تسفر الشمس عن العين ثم تبكي عليها

فيكون تقطيع البيت الأول (لا تصغ لل) مستفعلن وليس (فاعلاتن)  
كما يقتضي البحر الشعري.

كما روى له الجامعان قوله<sup>(٤٦)</sup> : {البسيط}

ما صرت أجسرُ أن أبكي لفرقتهم لأنهم زعموا أن البكا فرح  
برواية :

ما صرت أحسن أن أبكي لفرقتهم لأنهم زعموا أن البكا فرج  
كما روى له الجامعان قوله في علم الدين بن الحجاج<sup>(٤٧)</sup> : {مجزوء  
الوافر}

حكى نهرين ما في الأر ض من يحكيهما أبدا  
حكى في خلقه ثورى وفي أخلاقه بردى  
برواية :

حكى في خلقه ثورا وفي أخلاقه بردا  
وقد اجتمع نقص الأبيات مع التصحيف في قول الشاعر<sup>(٤٨)</sup> :  
{الطويل}

قتيلك ما أذكى الهوى جلّ ناره إلى أن تجلى الخد في جلناره  
رأى حية في وجنتيك وعقربا نعم جنة محفوفة بالملكاه  
حيث جاء البيت الأول فقط برواية : وقال أيضاً<sup>(٤٩)</sup> : {الطويل}  
فهلك ما أذكى الهوى جل ناره إلى أن تجلى الخد من جلناره

(انتهى)

الهوامش :

\* كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر

- (١) الحيوان للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحل، الثانية، ١٩٦٥م، ٣/١٣٢.
- (٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة - دار الفكر، بيروت - الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١/ص٧٩٠.
- (٣) ينظر: التناص الشعري، قراءة أخرى لقضية السرقات، د. مصطفى السعدني، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٩١م، ص٥٤.
- (٤) تاريخ الإسلام ٤٣/٢٠٢، والوافي بالوفيات ٩/١٧ ووفيات الأعيان ١/٢١٠.
- (٥) وفيات الأعيان ١/٢١٠.
- (٦) خريدة القصر ١١/١٠٢ والبيت فيه برواية (فرج) بالجيم.
- (٧) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، الرابعة، ١٩٧٦، ٤/٥٠٧.
- (٨) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي وآخرين، مكتبة مصر ١٩٩٤م، ص٥٧.
- (٩) الروض الأنف، السهيلي - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ٢٣١/٢.
- (١٠) شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، ٣/١٩١، ١٩٤.
- (١١) خريدة القصر ١١/١٠٩.
- (١٢) خزنة الأدب ٥/٤٥٨، ٤٥٩.
- (١٣) خريدة القصر ١١/١٠٣، ويبدو أنها جزء من القصيدة السابقة.
- (١٤) إنباه الرواة ١/٢٦٩، وخريدة القصر ١١/١٠١.
- (١٥) ديوان الصبابة، ابن أبي حجلة التلمساني، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٧م، ص١٢٧، قال المؤلف: ووصف أعرابي قومًا

- فقال: سيوفهم آفات الأعمار وصدورهم قبور الأسرار وما أحسن قول ابن ممتي  
من أبيات (وضاق .....)
- (١٦) خريدة القصر ١١/١٠٢ .
- (١٧) كتاب عيار الشعر، أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا، تحقيق: د. عبد العزيز ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٥م، ص ١٣٣-١٣٥ .
- (١٨) خريدة القصر ١١/١٠٩ .
- (١٩) معجم الأدباء ٢/١٨٨، ١٨٩ .
- (٢٠) خريدة القصر ١١/١١٠ .
- (٢١) خريدة القصر ١١/١١٣ .
- (٢٢) الشعر العربي وظاهرة التداخل والاختلاط: عادل سليمان جمال، مجلة المجلة،  
السنة العاشرة، عدد ١١٣، مايو ١٩٦٦م، ص ٣٥ .
- (٢٣) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٦/٢٥٤، و خلاصة الأثر في أعيان القرن  
الحادي عشر، المحبّي، دار صادر، بيروت ٣/٢٧٤ .
- (٢٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/٢١١، ٢١٢ .
- (٢٥) الدوييت: هو وزن منقول عن الفارسية، وهي كلمة مركبة من كلمتين: معنى  
الأولى اثنان، والثانية على لفظها، ولا يقال إلا بيتان بيتان في أي معنى يريد الناظم، ولا  
يجوز فيه اللحن مطلقاً، وهو خمسة أنواع هي: المعرّج، والخالص، والمنطق،  
والمرفل والمردوف. ينظر: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب - السيد أحمد  
الهاشمي، تحقيق: د. حسني عبد الجليل يوسف - مكتبة الآداب، ص ١٤٠، ١٤١ .
- (٢٦) معجم الأدباء ٢/١٩١ .
- (٢٧) ينظر: الوافي بالوفيات ٩/١٧ .
- (٢٨) وفيات الأعيان ١/٢١٠ .
- (٢٩) تاريخ الإسلام ٤٣/٢٠٢، والوافي بالوفيات ٩/١٧، ووفيات الأعيان ١/٢١٠ .
- (٣٠) معجم الأدباء ٢/١٨٤، الوافي بالوفيات ٩/١٥، وقد ورد البيت الأول برواية:

حوى درب كوز الزير كل شمردل مشددة أوساطهم بالزنانير

(٣١) معجم الأدباء ١٨٤/٢ ، الوافي بالوفيات ١٥/٩ ، وقد ورد البيت الأول برواية:

حوى درب كوز الزير كل شمردل مشددة أوساطهم بالزنانير

(٣٢) إنباه الرواة ٢٦٩/١ ، وخريدة القصر ١٠٢/١١ ، "والعدار الذي يضم جبل الخطام إلى

رأس البعير والناقة، وأعذر الناقة جعل لها عذارا، قالوا العذاران من الفرس كالعارضين من وجه الإنسان ثم سمي السير الذي يكون عليه من اللجام عذاراً باسم موضعه ج عذر ككتاب وكتب، والعذاران جانباً للحيّة، لأن ذلك موضع العذار من الدابة قال رؤبة:

حَتَّى رَأَيْتَ الشَّيْبَ دَا التَّلْهُوقِ أَغْشَى عِدَارِي لِحْيَتِي وَبِرْتَقِي

وعذار الرجل شعره الثابت في موضع العذار، والعذار استواء شعر الغلام يقال ما أحسن عذاره أي خطاً لحيته، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ٢٠٠٠م، ٧٣/٢، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١٢/٥٤٧.

(٣٣) خريدة القصر ١٠٢/١١ . (٣٤) خريدة القصر ١٠٢/١١ .

(٣٥) نصره الثائر على المثل السائر ص ١٠٩ ، وقد أدرجه الصفدي تحت استعمال أسماء الشهور على سبيل المواراة.

(٣٦) طبقات الشافعية الكبرى ٢٤٣/٧ .

(٣٧) يقول ابن منظور: والمنهوك من الرجز والمنسرح ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه كقوله في

الرجز: (يا ليتني فيها جذع) وقوله في المنسرح: (ويل أم سعد سعدا)، وإنما سمي بذلك لأنك حذفته ثلثيه فنهكته بالحذف، أي بالغت في إمرضه والإجحاف به والنهك المبالغة في كل شيء والناهك والنهيك المبالغ في جميع الأشياء. لسان العرب ١٠/٥٠٠، ويأتي المنهوك على صورتين، فإما أن تضم التفعيلتان، ويكون العروض هو الضرب، وهذا هو المشهور ومنه:

ما للفتى فيها خدعُ

أقودُ وطفاءَ الذبَعِ

وإمّا أن تكون كل تفعيلة في شطر، كما يفهم من قول ابن عبد ربه: "والمنهوك ما ذهب من شطره جزآن وبقي على جزء" ينظر: **العقد الفريد** ٤٢٨/٥، والرجز لدريد بن الصمّة في ديوانه بتحقيق: د. محمد خيرى البقاعي، دار قتيبة ١٩٨١م، ص ٩٣ برواية:

يا ليتني فيها جذع

أقود وطفاء الزمع

(٣٨) **مجلة الموقف الأدبي**، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٤١٣ أيلول ٢٠٠٥، مقال بعنوان: **الرجز والأراجيز ائتلاف واختلاف**، د. أحمد فوزي الهيب، سورية ص ٨٩. وينظر: **عروض الورقة**، الجوهري، تحقيق: د. صالح جمال بدوي، مكة المكرمة ١٩٨٥، ص ٧٥.

(٣٩) ينظر: **البداية والنهاية** ١٠/١٨٨.

(٤٠) **العمدة** ١/١٨٤، ١٨٥. وينظر أيضًا رأي ياقوت الحموي في **معجم الأدباء** ٣/٣٩٠. والسيوطي في **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الأولى، ١٩٥٢م ١/٢٨٢. وابن قاضي شهبه في **طبقات الشافعية** ٧/٢٤٥.

(٤١) **الوافي بالوفيات** ٢٠/٢٠١.

(٤٢) ينظر: **طبقات الشافعية الكبرى** ٧/٢٤٣-٣٤٧. و**الوافي بالوفيات** ١٨/٢٧٥، ٢٠/٢٠٠.

(٤٣) **معجم الأدباء** ٢/١٩١. (٤٤) ينظر: **الوافي بالوفيات** ٩/١٧.

(٤٥) **خريدة القصر** ١١/١٠٩.

(٤٦) **خريدة القصر** ١١/١٠٢ والبيت فيه برواية (فرج) بالجيم.

(٤٧) **تاريخ الإسلام** ٤٣/٢٠٢، و**الوافي بالوفيات** ٩/١٧، و**وفيات الأعيان** ١/٢١٠.

(٤٨) **الوافي بالوفيات** ٩/١٠٢.

(٤٩) **الوافي بالوفيات** ٩/١٠٢.

**شعر عنتره بن شداد**  
**في الموروث النقدي عند العرب**  
**"دراسة في نقد النقد"**

( ٤ )

بقلم: د. محمد رمضان الجوهري ❖

وقد يورد بعض المؤلفين أحياناً أشعاراً وينسبونها إلى عنتره، وهي بينة الكذب، ظاهرة النحل، إما لأنها ليست من طريقته ونهجه ظاهراً، أو لأنها صيغت بلغة ركيكة، ومفردات واهية لم يستعملها الشاعر، وربما لأنها تتعلق بأشياء لم تكن معروفة في وقتها، ولم يتطرق إليها الشاعر في نظمه، ولم ترد في دواوينه المعتمدة المحققة، ومن ذلك ما أورده أبو بكر الصولي في أدب الكتاب<sup>(١)</sup>، وقد عرض لأقوال الشعراء في باب سمّاه "باب الحساب"، وفي أعطافه ذكر "ومن أحسن ما قيل في تشبيه يد الحاسب بوميض البرق بعد قول التيمي قول عنتره من أبيات:

وفرضت للناس الكتابة فاحتدوا      فيها مثالك والعلوم فرائض  
وإذا خطت فأنت غيث معشب      وإذا حسبت فأنت برق وامض  
وإذا نهضت فأنت نجم ثاقب      وإذا جلست فأنت ليث رابض

فبك التمثل حين ينعت فاضل وإليك يرجع حين يشكل غامض  
فالألفاظ " فرضت - الكتابة - العلوم - فرائض - خططت - حسبت "  
كلها ليست من معجم الشاعر اللغوي ، ولا من مفرداته الموظفة في شعره ،  
إضافة إلى أنّ الكتابة والحساب على الشاكلة المساقة في الأبيات لم تكن  
معروفة على هذه الشاكلة في بيئة عنتره البدوية ، ولا عند عنتره راعياً أو  
فارساً ، ثم من هو ذلك الطلعة النابه الذي يشير إليه عنتره من بني  
جلدته ، ويمدحه بمثل قوله في البيت الأخير؟

وذلك النهج من النقد المعني بتوثيق شعر عنتره ، ونسبته إليه أو إلى  
غيره من الشعراء كثير في الموروث النقدي عند العرب ، ومرّد ذلك إلى  
أسباب منها :

- اختلاط شعر عنتره بسيرته ، فلم ينل أحد من المتقدمين ما ناله عنتره  
شهرة ومكانة عند القصاصين والحكّائين ؛ فحكايا فروسيته ، وقصص  
بطولته تستهوي العامة والبسطاء ، وقد رأى فيها القصاصون في كل زمان  
مادة ثرية تعجب وتجذب ، فتزيّدوا فيها ، ولونوها - ليضفوا على  
تفصيلاتها المصدقية - بأشعار كثيرة نسبوها إليه ، تناسب ما يروونه من  
سيرته ، فاختلطت بالثابت من شعره ، وأوردها عدد من المؤلفين الذين  
يحتطبون ليلاً في مؤلفاتهم إعجاباً وتساهلاً ، وربما جهلاً وعدم دراية ،  
فبقيت منسوبة للرجل مع أنها ظاهرة الكذب والنحل .

- الخلط أحياناً بين شعر عنتره العبسي وغيره ممن تسمّوا بهذا الاسم  
كعنتره الأخرس الذي أورد له الأمدى شعراً في وساطته<sup>(٢)</sup> ، والمرزوقي في



حماسته<sup>(٣)</sup>، وكعنتره الطائي الذي ذكره الجاحظ في حيوانه<sup>(٤)</sup>، وساق له بعض أشعاره، وذكره كذلك ابن رشيق في عمدته<sup>(٥)</sup>، وعنتره بن عروس المذكور في خزانة الأدب<sup>(٦)</sup>، وعنتر بن الضباب النهدي في الأشباه والنظائر<sup>(٧)</sup>، ومثلهم عنتره النميري<sup>(٨)</sup>، وعنتره بن عمرو<sup>(٩)</sup>، وغيرهم. وقد ساق ابن رشيق<sup>(١٠)</sup> بيتاً ليزيد بن الطثرية في معرض حديثه عن الالتقاط والتلفيق، وأبان تلفيقه من عدد من الأبيات منها بيت لعنتره الطائي فقال: "وأما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثرية: إذا ما رأني مقبلاً غضّ طرفه كأن شعاع الشمس دوني مقابله فأوله من قول جميل:

إذا ما رأوني طالعاً من ثنية يقولون: من هذا؟ وقد عرفوني ووسطه من قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً وعجزه من قول عنتره الطائي:

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من حولي تدور ومثل هذا يوقع البعض في حيرة، فينسب جاهلاً البيت لعنتره غير منتبه أنّ عنتره الطائي غير عنتره العبسي، إضافة إلى أنّ بعضهم يسوق ترجمة لأحدهم، فيذكر اسمه كاملاً ويبيّن نسبه، ثم يتناسى ذلك في معرض الترجمة فيسميه عنتره، فيأخذ البعض الأشعار وينسبونها إلى عنتره العبسي سهواً أو جهلاً.

- ينضاف إلى ما سبق إيراد بعض كتب السير والتراجم والتأريخ أشعاراً ليست لأصحابها، ثم ينسبونها إليهم جهلاً منهم بذلك، فهمهم تأكيد الحادثة بما يقرررها من شواهد تدعمها، لا فرق عند بعضهم في ذلك بين كونها صحيحة النسبة أو موضوعة، وحجتهم أنّ بضاعتهم التاريخ لا الأدب، والحوادث لا الأشعار، وزاد بعضهم فأورد شعراً لرجال من عاد وثمود، ولنساء لم يعرفن بقرض الشعر ونظمه.

- وفي النهاية نسبة كل شعر ورد فيه اسم عبله لا يعرف قائله إلى عنتره، وكأنها موقوفة عليه، لصيقة به، مما فتح باباً للوضع والتحل والتلفيق قصداً أو عرضاً في شعر الرجل، مع أنّ الأمر بين النحل، لا يتسق بحال مع نظمه، أو يتناغم مع طرائقه ونهجه.

#### الخاتمة

الحمد لله على تمام فضله، وكمال نعمته، وسابغ إحسانه، علّم سبحانه بالقلم، وامتّن على الإنسان فعلمه ما لم يكن يعلم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، ووهب ذخائر الحكم، وعلى آله وصحبه والسائرين على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد، فيطيب لي في النهاية وأنا أضع اللبنة الأخيرة لهذا البحث أن أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة حول شعر عنتره في الموروث النقدي عند العرب "دراسة في نقد النقد" في النقاط التالية:

- عرض النقاد لبعض متخيرات عنتره اللفظية، فعابوا عليه استخدام مفردة في صيغة من الصيغ المستعملة، مفضّلين عليها صيغة أخرى

للمفردة ذاتها، مع أنّ القاعدة لا تمنع هذه أو تلك، معلّين رؤاهم بالوقوف مع الحسن لا مع الجواز، وهذا يفتح باباً للقبول والرد؛ إذ الفيصل حينئذ الذوق الذي تتباين رؤاه بعوامل تؤثر وتتحكم وتوجه.

- جاءت بعض ومضات النقاد في تناولاتهم شعر عنتره مختلفة مع الأساليب العربية - أحياناً - فقد عابوا عليه تكرار المعنى بألفاظ متغايرة، وعدّوا ذلك تطويلاً لا يفيد، وقد أجازوه في قافية البيت دون صدره أو حشوه؛ استناداً إلى أنّ الشاعر يجوز له في القافية ما لا يجوز له في ثنانيا البيت، وعدّوا ذلك صفة مذمومة تقف مع البلاغة على طرفي نقيض، في حين ورد ذلك بكثرة في كلام العرب شعره ونثره، مما يشي بانطلاق النقاد في بعض نقاداتهم من الاستعمال الأمثل، والتوظيف النموذجي، وهذا قد يستعصي أحياناً على الشعر المحكوم بالوزن والقافية، والمتمرد على بعض الأعراف اللغوية، والتراكيب الرتيبة.

- استحسّن النقاد من عنتره مفردات وأساليب أجاد توظيفها، وأحسن سبكها، فجاءت قريبة مفهومة، سهلة المخرج، قوية الرصف، دالة على مراد الشاعر وقصده، يأخذ بعضها بحجز بعض؛ وصولاً إلى ضميمته يتغياها، وحج يقصده.

- تباينت نظرات بعض النقاد في معاني عنتره الموظفة في شعره تعبيراً عن مكنون نفسه، ولا عج فؤاده، ففي الوقت الذي عاب فيه البعض معنى انتجعه، تلمس له آخرون وجوهاً تخلّيه من العيب، وتسوغ توظيفه، واستعماله في بابيه.

- أشاد النقاد ببعض صور عنتره، وأثنوا على وثبات خياله، وحسن تأليفه، وبديع وصفه، وقدرته على التشبيه قدرة أحلته السبق، وبالغوا في بعض ذلك فجعلوها من التشبيهات العقم التي لم يسبق إليها، أو ينازع فيها، ولم يتعدّ أحد بعده عليها، ولو رام ذلك لافتضح وما أمكنه.

- أطرّ البلاغيون بعض قواعدهم اعتماداً على أشعار عنتره التي كرروا فيها النظر وأعادوا؛ وصولاً إلى تقنين بلاغي وضعوا له مصطلحاً يتسق مع البيت ويساوقه، مما يقرر إكبارهم ضمناً للرجل وشعره.

- وقف النقاد على شيم عنتره المعجبة، وخلالها النبيلة، فأشادوا بها، وأحلّوه الصدارة بسببها، منطلقين في ذلك من غايات أخلاقية، ونزعات إنسانية، وتلك نظرات يميل إليها أصحاب الفطر السوية، والأذواق السليمة، متى أعان عليها إبداع يطير بمتلقيه إلى حيث أراد له سابقه من مسابح.

- أورد النقاد بعض أقوال الأقدمين في عنتره، عاقدين -رغم أنه لا دين له- مقارنة بينه وبين غيره من الشعراء الإسلاميين، مشيدين في موازاتهم بعنتره الذي منعه خلقه وكرمه ما لم يمنع غيره من منتهبي اللذات ومعاقري المتع دينهم وإسلامهم.

- شف حديث النقاد حول تأثير عنتره بسابقه، وتأثر لاحقيه به عن نظرات موضوعية، تعتمد السرقة والأخذ مقياساً في الحكم، إضافة إلى سعة اطلاع، وكثرة حفظ، ودراية بتراث العرب المنظوم، وقدرة على إدراك العلائق خفيها وظاهرها بين المعنى ومشاكله، وتلك ميزات اتسم

بها نقاد العرب ، مكنتهم من إصدار أحكام في هذا الباب ، تزيل ما عساه يغشيه من صباية ، أو يتلبده من غيوم .

- أحاط النقاد في حديثهم عن التأثير والتأثير بجوانب القضية في ردهاتها ومنعطفاتها ، فأوردوا شواهد تؤكد تأثر عنتره ببعض سابقه ، ونصوا على نماذج تقرر أخذ لاحقيه معانيه وتوظيفها في شعرهم ، إضافة إلى عقد بعض الموازنات -أحياناً- ، وإصدار أحكام تفضل معنى على غيره ، وصورة على سواها ، مع سوق تبريرات تنم عن رؤية وفكر .

- ما حفظته لنا كتب التراث النقدي من تأثر عنتره بسابقه أقل بكثير مما أوردته من تأثر لاحقيه به ، وهذا أمر طبعي ؛ فعنتره من الشعراء الأوائل في العربية ، وقد أعقبته أجيال توالى ، وعصور تتابعت ، فكان تأثيره فيمن جاءوا بعده ، يفوق تأثيره بسابقه ، تناغماً مع الواقع زمنياً وكثرة .

- كشفت رؤية النقاد في معرض حديثهم عن الموازنات إعجابهم في الغالب بشاعرية الرجل ، وسلامة طبعه ، وصفاء قريحته ، وحسن تصويره ، مما دفعهم إلى تفضيله على غيره أكثر من تقديم سابق أو لاحق عليه ، وقد ساقوا في أعطاف ذلك تعليقات تبين سر التقديم ، وأحياناً كانوا يكتفون بالتفضيل جملة دون تفصيل أو تدليل ، تاركين مساحة لعقل المتلقي ينعطف منها إلى تلمس أسباب التقديم وعلله .

- أكد الموروث النقدي انطلاق النقاد -في الغالب- من النقد التأثري أو الانطباعي ، فنظراتهم تدور في جلها حول الذوق الفردي ، وما يشيره النص في النفس ، وما يتركه من انطباعات دافعة للحكم بالمدح أو القدح ،

غير عابئين - والحالة تلك - بالقواعد المحددة، فذوقهم هو الحاكم، ودربتهم هي الأساس في الفصل؛ لذا لمست الدراسة فوارق بين النقاد حول النص الواحد، فهذا يستحسنه، وذاك يستهجنه، دون أن يقدم أيهما بين يدي قبوله وردّه ما يعلّل ويقرب، وهذا أمر طبيعي ما دامت القضية محكومة بالذوق لا بالقاعدة، وضابطها التأثر والانطباع بعيداً عن التقنين المؤطر، والمنهج المطرد.

- لم يغفل الموروث النقدي عند العرب قضية النحل في شعر عنتره، فقد أوردت بعض المصادر إشارات تفيد الشك في بعض الأشعار المنسوبة إليه، وأصدرت أخرى أحكاماً تثبت صحة نسبة الشعر إليه متى كان صحيحاً ثابتاً، وتنفي تلك النسبة متى ثبت لديها ما يقرر ذلك، وأحياناً تتردد في النسبة بينه وبين غيره، وتغلب صحتها إلى أيهما، وهذه المسالك ليست بعسيرة على أرباب الصناعة؛ اعتماداً على الحفظ والدرية والتمرس، ومعرفة طرائق الشعراء، ومسالكهم في النظم والقرض.

- شطّ بعض النقاد في الحكم على شعر عنتره، وغالى في وسمه بالنحل، فحكم بنسبة معظم شعره إلى أخيه من أمّه هراش بن شدّاد، دون تفسير يبرر، أو تعليل يقنع، مما يجعل الحكم - على هذه الشاكلة - مرفوضاً، يكذّبه الواقع، ويردّه الأثبات من رواة العربية ونقادها الذين أشادوا بعنتره، وأثنوا على جودة قريحته وحسن نظمه.

- حاول بعضهم - ممن لا تخفى هويتهم - أن يسيئوا للتراث عمداً، ويدخلوا فيه ما ليس منه قصداً؛ ليفتحوا أبواباً لتخرصاتهم يتسلل منها

الشك إلى التراث، ومنافذ تطلّ من كواتها الريبة إلى نفوس مطالعيه،  
موطنين للقضية بأنهم جمعوا ما وصل إليهم من شعر فأثبتوه في مؤلفاتهم  
- كما فعل شيخو وأنداده - فخلطوا الصحيح بالمصنوع، والثابت  
بالمنحول، معتقدين أنّ ذلك يخفى على ذوي البصر بالشعر، أو يعفيهم  
من الاستهجان والرد، وريقيهم مغبّة الجرح والنقد.  
- بعض أحكام النقاد المتصلة بتوثيق شعر عنتره، والمتعلقة بصحة نسبة  
بعض الأشعار إليه، أو نفيها عنه، تحتاج - أحياناً - إلى معاودة نظر،  
وعدم قبولها جملة دون بحث وتدقيق.  
والله وحده من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

#### الهوامش:

- \* جامعة القصيم - كلية العلوم والآداب بالرس - قسم اللغة العربية - الرس - القصيم.
- (١) أدب الكتاب لأبي بكر الصولي، تح: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر،  
المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ، ص ٢٤٠ باب ذكر الحساب.
  - (٢) الوساطة ٣٣٩.
  - (٣) شرح ديوان الحماسة ١/١٦١.
  - (٤) الحيوان ٤/٤١٠.
  - (٥) العمدة ٢/٢٩٠.
  - (٦) خزانة الأدب ١٠/٣٢٦.
  - (٧) حماسة الخالدين المسماة الأشباه والنظائر ١/٩٦.
  - (٨) انظر التذكرة الحمدونية ج ٥/٢٦٠.
  - (٩) انظر جمهرة أشعار العرب ١/٢٣.
  - (١٠) العمدة ٢/٢٩٠.

# بُرِيدُ الْعَرَبِ!

ورد إلى **العروبة** من الأستاذ كمال عبدالرحمن النعيمي، من الموصل /  
العراق ما يلي:

## الأوضاع السياسية في عصر السيوطي

كانت الأوضاع السياسية التي عاش فيها عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) تتميز بالاضطراب السياسي، وفقدان الأمن والاستقرار، وذلك يشكّل امتداداً للحدث الجلل والكارثة الكبرى التي حلّت بالمسلمين في كل مكان، ألا وهي احتلال المغول بغداد مدينة السلام عام (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، وكان ذلك في زمن آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله<sup>(١)</sup>.

ولم يتوقف المغول بزحفهم عند بغداد، بل واصلوا التقدم غرباً، فاحتلّوا بلاد الشام وفلسطين أو جزءاً منها، لكنّ المصريين استطاعوا إيقاف هذا السيل الجارف، والانتصار عليهم في معركة (عين جالوت) في فلسطين يوم ١٥ رمضان ٦٥٨هـ (٣ سبتمبر ١٢٦٠م)<sup>(٢)</sup>.

يقول "رنسيان": بسقوط المدن الثلاث الكبيرة: بغداد وحلب ودمشق، تراءى كأنّ الإسلام في غرب آسيا حان أجله<sup>(٣)</sup>.



وعلى الرغم من هذا الانتصار الكبير، إلا أن هذا لم يمنع من تمزق الأمة الإسلامية إلى دويلات وإمارات صغيرة، وذلك بسبب ما ذكره رنسيمان واحتلال المغول للمدن الكبرى الثلاث.

ونتيجة هذه الحروب تغيرت الخارطة السياسية لبلاد المسلمين، وتداخلت الشعوب، وأدى ذلك إلى انقسامات سياسية واسعة، تقاسمها العرب والمغول والأتراك، وكان المغول من أقصى حدود الهند شرقاً، حتى سورية الكبرى غرباً، وأمّا الترك فقد حكموا من سورية شرقاً إلى حدود مصر الغربية<sup>(٤)</sup>.

وفي مصر قامت دولة المماليك على أنقاض الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ)<sup>(٥)</sup>، والطريف أن الدولة الأيوبية كانت سبباً في وجود المماليك في مصر، فقد اضطر صلاح الدين الأيوبي إلى أن يشتري (١٢ ألفاً) من المماليك الجراكسة والأتراك، وبعد أن درّبهم على الحركات العسكرية والفنون الحربية، ألف منهم جنداً لم يلبث أن صاروا أشد الجنود الآسيوية بأساً، وأقواهم بطشاً<sup>(٦)</sup>، وكانت سلطة مواليتهم قد آلت على توالي الأيام إلى حوزتهم، فغلبوهم على أمرهم، وتصرفوا في أحوال الدولة على أهوائهم، ثم لم يلبثوا أن أسقطوهم عن عروشهم، واختاروا السلاطين لهم، وتصرفوا في الدولة كما يحلو لهم وسلاطينهم منهم، وأخذوا يؤلفون برسم أنفسهم فرقاً من المماليك على الوجه الذي ألفت فيه فرقهم، فتضاعف عددهم، وحصلت لهم العصبية الكفيلة بالقدرة على تنفيذ أحكامهم والتغلب على سواهم.

وطريقة جلب الممالك إلى مصر، أنهم كانوا في مقتبل العمر، يباعون في أسواق النخاسة بيع الأرقاء، ثم ينقلون إلى ذلك القطر الذي قُدِّر لهم أن يمسكوا زمام أموره دون أن تربطهم به صلة وطن، ولا أصرة قرابة، كما حدث للممالك الذين حكموا مصر والشام وأماكن أخرى<sup>(٧)</sup>.

ولم يكن عجباً أن يعاملوا تلك البلدان التي يحكمونها وأهلها معاملة البلدان المفتوحة والأمم المغلوبة على أمرها، إذ لم يكن يعنيه من شأنها وشأن أهلها سوى التفتن في ضروب ابتزاز الأموال واستدرار الخيرات، فتطوّروا بتطوّر الحضارة والترّف، وألفوا النعيم وغضارة العيش<sup>(٨)</sup>، وبلغوا في ذلك الغاية، حتى أصبح حكمهم القائم على أساس التوحش والهمجية، سلسلة متصلة من حلقات الفوضى والاختلال والمكائد، المراد بها تعزيز الأطماع الذاتية، ونفسيّ وسائل العنف والقهر، بما يؤدي إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح لتحقيقها<sup>(٩)</sup>.

والحقيقة يبدو هذا الرأي الذي طرحه بعض المؤرخين عن مدى سوء السلاطين الممالك، أو الممالك عامة ليس منصفاً في جوانبه كافة، فهناك الكثير من السلاطين الممالك، قاموا بأعمال جليّة في الحفاظ على مصر، والدفاع عن أرضها، وحماية ثرواتها، منهم السلطان المظفر قطز، والظاهر بيبرس، وإنجازتهما المعروفة في (عين جالوت)، وتحرير ما احتلّ من قِبَل المغول، من بلاد الشام وفلسطين، ودحر المغول الغزاة في معركة فاصلة وإبقاء مصر حرة أئبة خارج سيطرة المغول<sup>(١٠)</sup>.

أضف إلى ذلك أنّ ثمة سلاطين من المماليك، ساهموا في الحفاظ على بلاد المسلمين، واتسموا بالعدل والإنصاف، وإعمار البلدان، منهم: الملك الناصر، سلطان مصر والشام، والسلطان قلاوون، والسلطان برقوق، والمؤيد، والأشرف، وقايتباي<sup>(١١)</sup>.

وعلى أية حال، فكما هو معروف، فكل من يتابع تاريخ المماليك ويعرف تفاصيله، يرى بوضوح أنّ تاريخ المماليك، أوله (نور) وآخره (نار)، أو بتعبير آخر أوله (خير) وآخره (شر)، فأوله: إيقاف زحف المغول نحو احتلال مصر، وتدمير جيش الغزاة وتطهير فلسطين ولبنان والشام من رجسهم، وآخره: طغيان المماليك على الحكّام والملوك والشعب، فدبرّ لهم محمد علي مذبحه القلعة الشهيرة التي راح ضحيتها آلاف المماليك<sup>(١٢)</sup>.

وهناك من يسمّي عصر المماليك بالعصر المظلم، حيث يقول «يمكن أن يسمّى عصر المماليك بالعصر المظلم؛ لأنه أغمض عصر في تاريخ مصر، ولأنه من جهة أخرى كان مظلمًا بالحجب التي حالت دون المؤرخين للوصول إلى حقيقته، ولكنه كان عصرًا قائمًا بنفسه، له مظاهر وتعاليم وفلسفة ونظم اجتماعية وأخلاقية خاصة به»<sup>(١٣)</sup>.

والطريف في حكم المماليك أن لا يجد الإنسان مثيلاً له في تاريخ العالم، وذلك لأنّ مركزهم كان استثنائيًا؛ لأنه لم يُسمع مطلقاً -ولو حدث أنّ العبيد والأرقاء في ثوراتهم يسودون مواليهم سيادة لا تلبث أن تنفثع سحبها- أنّ طائفة من الأرقاء المشترين بالأموال من أسواق آسيا،

يكثر عددهم، ويُؤووا أرقاء مثلهم، ثم يحكمون أقطاراً غنية كمصر والشام وغيرهما، ويضعون أيديهم على بلدان واسعة، ويصبح المملوك حاكم الغد، وممالك مصر يعطوننا هذا المثال<sup>(١٤)</sup>.

وعلى هذا الأساس فإنّ حكم سلطان المماليك لم تكن له قاعدة واضحة، ومن خلال استقراء طريقة جلوس سلاطين المماليك على العرش، نلاحظ أنه لم تكن هناك تقاليد ثابتة تنظم طريقة جلوسهم تلك<sup>(١٥)</sup>، فتارة يصلون إلى الحكم عن طريق الوراثة، كما حصل لأولاد الظاهر بيبرس وقلاوون، والناصر محمد، والأشرف قايتباي<sup>(١٦)</sup>، وتارة يؤخذ اغتصاباً في أغلب الأحيان، كما حصل مع السعيد بن بركة بن الظاهر بيبرس، والناصر محمد بن قايتباي وغيرهما<sup>(١٧)</sup>. وقد انتهت حياة كثير من السلاطين بالقتل، فهل كان القتل في دولة المماليك هو القاعدة كما يتصور الغربيون؟

والواقع أننا باستثناء المظفر قطز، والناصر محمد بن قايتباي، نجد أنّ المماليك كانوا يكتفون بعزل السلطان دون قتله، إلا إذا ارتكب السلطان المعزول جرائم قتل في حق أمراء المماليك، فإنّ القتل يكون من نصيبه<sup>(١٨)</sup>؛ لأنّ المماليك كانوا ينقمون على السلطان الذي يبطش بـ(خشداشينهم) أي زملائهم، ولذلك نجد أنه عندما حوضر العادل طومان باي، الذي سبق قانصون الغوري مباشرة، قال له أحد الأمراء المماليك «أين قصره؟ أين جانبلاط؟»، فأدرك السلطان أنه مقتول<sup>(١٩)</sup>؛

لأنه قتلها من غير سبب، ولولا ذلك لاكتفوا بعزله، بمعنى أنّ المماليك لم يكونوا دمويين، وأنهم لم يكونوا يقتلون إلا من سبق إلى القتل<sup>(٢٠)</sup>.  
أمّا أقسام المماليك، فقد قسّمهم أحد الكتّاب المعاصرين إلى أربعة أقسام هي<sup>(٢١)</sup>:

١. المماليك البحرية: ١٢٥٠-١٣٨٧ م.
٢. المماليك البرجية: ١٣٨٧-١٥١٧ م.
٣. المماليك البكوات: ١٥١٧-١٨١١ م.
٤. مماليك الأسرة العلوية.

ولا يمكن مراعاة الجنسية في أقسام أو طبقات المماليك هنا؛ لأنهم لم يكونوا جميعاً من وطن واحد ولا من طبقة واحدة ولا من أمة واحدة<sup>(٢٢)</sup>.  
ولا يمكن أيضاً مراعاة التقسيم حسب المناطق التي سكنوها، فالقول بالمماليك البحرية؛ لأنهم سكنوا جزيرة الروضة<sup>(٢٣)</sup>، والمماليك البرجية؛ لأنهم سكنوا الأبراج<sup>(٢٤)</sup>، والمماليك البكوات؛ لأنّ نعتهم هذا كان أيام الاحتلال العثماني.

ولكن يمكن مراعاة التقسيم وفق اعتبارات أخرى، فإنّ أكثر ملوك الطبقة الأولى أو القسم الأول أُتيح له الحكم باسم سلاطين من الأطفال<sup>(٢٥)</sup>، فقد تولّى قلاوون وصياً على ابن بيبرس (سيف الدين سلامش)، فلم يلبث أن خلعه من الملك، ووثب مكانه على العرش<sup>(٢٦)</sup>، وتولى كتبخا الحكم بصفته وصياً على السلطان لاجين، فلم يلبث أن استبدّ وحده بالحكم<sup>(٢٧)</sup>، أمّا ملوك القسم الثاني، فقد صار الأمر إليهم

حقاً، فحكموا بأسمائهم، وتولّوا الأمر بأنفسهم حقاً، على الرغم من أنه لم يكد ينال مصر من هذا التغيير نفع كبير<sup>(٢٨)</sup>.

وعلى أية حال فإنّ ممالك هاتين الطبقتين كانوا أرقى أخلاقاً وأفضل سياسة من ممالك الطبقة أو القسم الثالث، وكان يظهر فيهم من وقت لآخر فحول سياسة، ورجال عدل ونظام، ورفق بالرعية، وكان مما يصلح شأنهم، أنّ الوراثة كانت توجد فيهم من وقت لآخر، مما ثبت دعامة الحكم أو الملك، ولم يدعها مطمعاً لكل سفّاك للدماء طامح للسلطة والإمارة<sup>(٢٩)</sup>.

وقد امتاز ممالك هاتين الطبقتين (الأولى والثانية) بما تركوه في القاهرة وضواحيها من الآثار النفيسة والمساجد البديعة النادرة، وما أبقوه من العمائر التي تدل على ذوق رائق ورفاهية تضرب بها الأمثال، وقد وصفهم العلامة "لاين بول" في كتابه المسمّى "القاهرة"، فقال:

«لقد جمع هؤلاء الممالك بين المتناقضات، التي لم تجمع في طبقة من الأمراء في أيّ زمان أو مكان، فبينما نعرف أنهم عصابة من الأفّاكين، ابتيعوا بيع السلع، ونشأوا أرقاء، وربّوا سفّاكين للدماء، ظالمين للعباد، مخربين للبلاد، نجد منهم ميلاً غريباً للفنون، يحق لأيّ عرش وصولجان أن يفخر به على الأنداد والأقران؛ ولقد أظهر هؤلاء الممالك في لباسهم، ومسكنهم، وعمائرهم، ذوقاً سليماً، ورفاهية بالغة، يصعب على أوربا الآن في عصرها "الأستاتيقي" المحب للجمال والتأنق أن تدانيهم فيه»<sup>(٣٠)</sup>.

وإذا كان عصر المماليك عصر المتناقضات ، فإنك واجد من يحمده المماليك في جوانب من حياتهم ، كما فعل "لاين بول" أو يذكره بعض المترجمين (لينبول) ، وكذلك واجد من يذمهم ذمًا شديدًا ، كما فعل ابن تغري بردي ؛ إذ قال :

«نهبت العبيد والمماليك الأجلاب -يعني الذين جلبوا إلى مصر وهم الجراكسة- النسوة اللاتي حضرن صلاة الجمعة بجامع عمرو بن العاص بمصر القديمة وأفحشوا في ذلك إلى الغاية ، وكل مفعول جائز»<sup>(٣١)</sup> .

وعلى الرغم من تلك الأحوال السياسية المضطربة ، سواء كانت الداخلية منها أم الخارجية التي تعرّضت لها بلاد المسلمين ، نلاحظ أنّ دولة المماليك الجراكسة كانت محط آمال المسلمين<sup>(٣٢)</sup> ، في الخلاص من الصعوبات والمصائب ، وهذا ما وجدناه عندما أحسّ أهل الأندلس بالخطر ، فبعثوا رسولاً سنة (٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م) إلى ملك مصر الأشرف قايتباي (٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م) طالبين منه المساعدة لإنقاذهم من أعدائهم<sup>(٣٣)</sup> .

ومع هذا فإنّ ممالك القسم الثالث أو الطبقة الثالثة ، أي المماليك البكوات ، فإنّ أغلب المؤرخين ، كانوا يعتبرون عصرهم من ضمن عصور حكم المماليك<sup>(٣٤)</sup> ، لذلك يقول مؤلف كتاب "المماليك في مصر" :

«اضطرت أن التجئ إلى مصادر كثيرة ، وإلى تطويل قد يكون مملاً ، لأثبت أنّ الحكم الفعلي في عصر الأتراك كان لمماليك هذه الطبقة دون غيرهم ، وأنهم لم ينقصهم في هذا العصر إلا لقب السلطنة الذي استبدلوا

به "شيخ البلد"، ولم يأبه المماليك كثيراً، واكتفوا بالجواهر، والحكم الفعلي دون لقب السيادة<sup>(٣٥)</sup>.

أما الطبقة الرابعة أو القسم الرابع من المماليك، فتجاوزه مؤلف كتاب "المماليك في مصر" ولم يتناوله بالشرح والتفصيل.

وإلى جانب سلطان المماليك في مصر، كان يأتي الخليفة العباسي في مصر، وقد كان منصب الخليفة منصباً دينياً قبل كل شيء، لإضفاء هالة من الشرعية على حكم السلاطين المماليك<sup>(٣٦)</sup>، وفي حقيقة الأمر لا يشكل منصب الخليفة أية أهمية سياسة، فالحكم والقرار كله بيد السلاطين، وقد أحصى السيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء" ١٥ خليفةً عباسياً في مصر، أولهم (المستنصر بالله أحمد بن الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله) وآخرهم (المتوكل على الله عبد العزيز)<sup>(٣٧)</sup>.

في مثل هذه الأجواء المتناقضة والمضطربة، عاش الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى في عام ٩١١هـ، ولتأكيد حالة الاضطراب وعدم الاستقرار في عهده، يكفي أن نقول إنّ السيوطي عاصر (١٣ سلطاناً) من السلاطين المماليك<sup>(٣٨)</sup>، ولقد عاش السيوطي في عصر دولة المماليك البرجية (الجراكسة) الممتد من سنة ٧٨٤-٩٢٣هـ، وهم المماليك الذين حكموا مصر بعد زوال المماليك البحرية<sup>(٣٩)</sup>.

والمعروف أنّ المماليك البرجية وهم جراكسة (نسبة إلى بلاد الجركس، وهي لفظة روسية قديمة تعني القوقاز، بجوار بحر قزوين، وأنّ أكثر



المماليك هم من أصل جركسي<sup>(٤٠)</sup>، وبلغ عدد سلاطين هذه الدولة اثنين وعشرين سلطاناً<sup>(٤١)</sup>، أولهم (الظاهر سيف الدين برقوق بن أنس البيغاوي (١٣٨٢هـ/١٣٩٩م)<sup>(٤٢)</sup>، وآخرهم: الأشرف قانصوه الغوري (١٤٤٦م/١٥١٦م)<sup>(٤٣)</sup> الذي قتله العثمانيون في معركة (برج دابق ٩٢٢هـ/١٥١٦م)<sup>(٤٤)</sup>.

والمماليك الجركسية جلبهم الناصر قلاوون المتوفى سنة ٧٤١هـ<sup>(٤٥)</sup>، وأسكنهم -كما ذكرنا- في أبراج القلعة، ولذلك أطلق عليهم المماليك البرجية، تمييزاً عن المماليك البحرية الذين كانوا يقيمون في جزيرة الروضة.

وكان الخلفاء العباسيون الصوريون، يحضرون تولية كل سلطان جديد من المماليك، ويعقدون له البيعة، وقد يتولون ترشيح القضاة، ويحضرون المجالس التي يعقدها السلطان لبحث الشؤون الطارئة التي تقتضي اتخاذ تدابير معينة، قد لا يستطيع السلطان أن يتحمل مسؤوليتها وحده<sup>(٤٦)</sup>.

وقد كانت ولادة السيوطي في عهد السلطان الظاهر أبي سعيد جقمق، الذي تعدّ فترة حكمه من أهدأ الفترات، وكانت مدة حكمه من سنة ٨٤٢ إلى سنة ٨٥٧هـ<sup>(٤٧)</sup>، وكما قلنا، فقد عاصر السيوطي ثلاثة عشر سلطاناً من المماليك، منهم السلطان الأشرف قايتباي، الذي تعدّ فترة حكمه أطول فترة حكم سلطان مملوكي، فقد دام حكمه تسعاً وعشرين سنة، وذلك من سنة ٨٧٢هـ إلى سنة ٩٠١هـ<sup>(٤٨)</sup>، وكان السلطان قايتباي رجلاً عاقلاً أريباً، واشتهر بأنه متدين ومصلح، فقد أسهم في عمارة كثير من

المراكز العلمية والدينية في مصر وما يتبعها من الأقطار<sup>(٤٩)</sup>، كما قام بإصلاحات عمرانية في مناطق مختلفة<sup>(٥٠)</sup>.

والحقيقة أنّ الإمام السيوطي - رحمه الله - لم تكن له علاقة بالحياة السياسية في مصر آنذاك، سوى علاقته بالخليفة العباسي المتوكل على الله، إذ كتب له رسالتين في مدح بني العباس<sup>(٥١)</sup>، وكانت الأولى "الأساس في فضل بني العباس"، والثانية "رفع البأس عن بني العباس"<sup>(٥٢)</sup>.

وكان السلطان قانصوه الغوري، آخر السلاطين المماليك الذين عاصروهم السيوطي، وقد تولى السلطنة من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢٢هـ<sup>(٥٣)</sup>. وقد ارتبطت دولة المماليك في عدد كبير من العلاقات مع الدول والقبائل نذكرها باختصار:

«علاقة المماليك بالحروب الصليبية، علاقة المماليك بالمغول والتتار، علاقة المماليك ببلاد النوبة، علاقة المماليك بأرمينيا، علاقة المماليك برودس وقبرص، علاقة المماليك ببعض الدول الأجنبية، علاقة المماليك بالقبائل التركمانية، علاقة المماليك بالأتراك العثمانيين، علاقة المماليك بالبندقية والبرتغال، علاقة المماليك بالأقباط والنزلاء الأجانب، علاقة المماليك بالخلافة العباسية»<sup>(٥٤)</sup>، وهذا يدل على أنّ دولة المماليك كانت منفتحة سياسياً مع دول العالم، ولم تكن دولة مغلقة على نفسها.

إنّ أهم وأخطر علاقات المماليك هي مع ثلاث جهات مصيرية، كان لها دور خطير في حروبها مع المماليك، العلاقة الأولى: هي علاقتهم بالمغول وقد استمرت فترة طويلة في مصر والشام وغيرها، والعلاقة

الثانية : مع الصليبيين الذين دخلوا في حروب طويلة أيضاً مع المماليك ،  
والعلاقة الثالثة : هي العلاقة المصرية مع الأتراك العثمانيين ، حيث وقعت  
يوم الأحد ٢٤ أغسطس ١٥١٦ م / رجب سنة ٩٢٢ هـ<sup>(٥٥)</sup> معركة "مرج  
دابق" بين الجيش المصري بقيادة السلطان الأشرف قانصوه الغوري  
وعدددهم (٣٠ ألفاً)<sup>(٥٦)</sup> والجيش العثماني بقيادة السلطان سليم ، والمكوّن  
من (١٥٠ ألفاً)<sup>(٥٧)</sup> ، أي : خمسة أضعاف الجيش المصري ، وقد انتصر  
المصريون أول الأمر ، وكاد السلطان سليم أن ينهزم<sup>(٥٨)</sup> لولا خيانة (خاير  
بيك) و(جان بردي الغزالي) اللذين انهزما بجيوشهما من الجيش المصري ،  
وانضمّا إلى السلطان سليم<sup>(٥٩)</sup> ، وبهذا اختلّ الجيش المصري ، واستعمل  
الأتراك إذ ذاك مدفعية جيشهم التي لم يكونوا قد بدأوا باستعمالها قبل  
ذلك فحصدت أفواج المصريين<sup>(٦٠)</sup> .

وتنتيجة الخيانة في الجيش المصري وتفوق عدد الأتراك العثمانيين  
واستعمالهم أسلحة حديثة غير متوفرة عند المصريين ، انهزم جيش  
المماليك ، بعد أن فُجِعَ السلطان الغوري في المعركة<sup>(٦١)</sup> ، ووقع تحت سناك  
خيل المغيرين الأتراك ، ولم يعثر له على أثر في المعركة<sup>(٦٢)</sup> .

بعد ذلك توجه السلطان العثماني سليم الأول إلى القاهرة ، وبعد قتال  
تراجعي يائس قام به الأشرف طومان باي الذي أعلن نفسه حاكماً على  
مصر وسلطاناً عليها<sup>(٦٣)</sup> ، بعد فقدان قانصوه في المعركة .

لكن طومان أحس بفشل محاولته هذه في مقاومة العثمانيين ، فسلم نفسه  
للقائد العثماني بعد ثلاثة أيام من دخول القاهرة<sup>(٦٤)</sup> ، فصلبه القائد في باب

زويلة<sup>(٦٥)</sup>، وبذلك انتهت آخر مقاومة للمماليك، وانتهت أيضاً دولة المماليك الجراكسة، وأصبحت مصر ولاية تابعة للعثمانيين<sup>(٦٦)</sup>.

من خلال معاصرة السيوطي لثلاثة عشر سلطاناً من المماليك، تظهر الصورة واضحة في تقييم الأوضاع السياسية في مصر، فأبرز مظاهر دولة المماليك الجراكسة هو ذلك الاضطراب السياسي الداخلي، فكان سبباً هاماً في القضاء عليها<sup>(٦٧)</sup>.

ومما يدل على هذا الاضطراب، كثرة التقلبات في السلطة العليا، فكثير من السلاطين خلعوا من الحكم خلعاً، وكمثال على ذلك السلطان برقوق الذي خلع من السلطة سنة إحدى وتسعين وثمان مئة وسُجن بالكرك<sup>(٦٨)</sup>، وأعيد حاجي بن الأشرف شعبان إلى السلطنة التي كان فيها من قبل<sup>(٦٩)</sup>، فأقام فيها إلى صفر سنة اثنتين وتسعين وثمان مئة ثم خُلع، وعاد برقوق إلى السلطة مرة أخرى<sup>(٧٠)</sup>.

ويمكن وصف عصر السلاطين المماليك على النحو الآتي:

١. سلاطين ممالك دخلوا الإسلام وأخلصوا لله وخدمة شعوبهم.

٢. سلاطين كانت تهمهم السلطنة وليس مهماً الثمن.

٣. سلاطين اعتمدوا على الوراثة.

وبذلك تكاثرت أسباب الخلاف واشتدت الفتن حتى انتهت الأمور

بكارثة (مرج دابق) التي أنهت حكم المماليك في مصر.

**الهوامش:**

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،

ط١، مصر، ١٩٥٢م، ٤٧١.

- (٢) **جامع التواريخ**، رشيد الدين الهمداني، نشر كاترمير- باريس - ١٨٣٦م، الترجمة العربية، مجلد ٢، جزء أول، ٣١٣.
- (٣) انظر كتابه: **تاريخ الحروب الصليبية**، ج ٣، بيروت، ١٩٦٩م، ٥٢٨.
- (٤) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المقرئزي (ت ٨٤٥ هـ)، مكتبة المنشي، بغداد، ج ٣، ٣٨٥.
- (٥) **الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة**، محمود ياسين أحمد التكريتي، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (٢٦٤)، بغداد، ١٩٨١م، ١٧.
- (٦) **صفحات من تاريخ مصر (المماليك في مصر)**، أنور زقلمة، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ١٩.
- (٧) م.ن: ١٩.
- (٨) **تاريخ دولة المماليك**، وليم موير، طبع القاهرة، سنة ١٩٢٤م، ١٨٩.
- (٩) **المماليك في مصر**، أنور زقلمة: ١٩.
- (١٠) **المختصر في أخبار البشر**، أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ)، المطبعة الحسينية المصرية بالقاهرة، ١٣٠٥ هـ، ج ٣، ٢١٤.
- (١١) **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ابن أبياس، طبعة بولاق، ١٣١١ هـ، ج ٥، ١٢٦.
- (١٢) **المماليك في مصر**، أنور زقلمة، ٣٤.
- (١٣) م.ن: ١٨.
- (١٤) م.ن: ٢٢.
- (١٥) **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، غرس الدين الظاهري، باريس، ١٨٩٤م، ٨٩.
- (١٦) **صبح الأعشى**، القلقشندي، مطبعة دار الكتب، القاهرة (١٩١٣-١٩١٨م)، ج ٤، ١٣.
- (١٧) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، شهاب الدين بن فضل الله، تحقيق: أحمد زكي، دار الكتب العربية، ١٩٢٤م، ج ٣، ٣٩٨.
- (١٨) **الخطط المقرئزية**، المقرئزي، طبعة القاهرة، ١٣٢٤ هـ، ج ١، ١٤١.

- (١٩) **مفاكحة الخلان في حوادث الزمان**، محمد بن طولون، نشر محمد مصطفى بالقاهرة في جزئين، ١٩٨٦م، ج ١، ١٩٦.
- (٢٠) **الممالك في مصر**، أنور زقلمة، ٢٢.
- (٢١) م.ن: ٢٥.
- (٢٢) م.ن: ٢٥.
- (٢٣) **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط ١)، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٨٧ هـ/١٩٨٦م)، ج ٢، ٤٣؛ **سيرة القاهرة**، لينبول، ترجمة: حسن إبراهيم وجماعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (١٣٤١هـ/١٩٢٢م)، ١١٩؛ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) (مكتبة الحياة، بيروت)، ج ٣، ٧١.
- (٢٤) **الفضائل الباهرة في محاسن القاهرة**، ابن ظهيرة، تحقيق: أحمد صالح، القاهرة، ١٩٦٠م، ٤٨؛ **سيرة القاهرة**، لينبول، ١٩٩.
- (٢٥) **حسن المحاضرة**، السيوطي، ج ٢، ١٢٠؛ **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج ٢، ٨٩.
- (٢٦) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، الحنبلي، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج ٧، ٣١٥؛ **حسن المحاضرة**، السيوطي، ج ٢، ١٢٢.
- (٢٧) **شذرات الذهب**، الحنبلي، ج ٧، ٣١٥؛ **بدائع الزهور**، ابن إياس، ج ٢، ٨٩.
- (٢٨) **الممالك في مصر**، أنور زقلمة، ٢٥.
- (٢٩) **الكواكب الدرية في السيرة النبوية**، ابن قاضي شهبه (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: د. محمود زايد، بيروت، ١٩٧١م، ٣؛ **الممالك في مصر**، ٢٥.
- (٣٠) **القاهرة**، لينبول، ٦٧.
- (٣١) انظر كتابه: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: د. إبراهيم علي، (الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج ١٩، ٢٠٨.
- (٣٢) **الشماريخ في علم التاريخ**، السيوطي، دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمن رشك ود. عبد الناصر عبد الرحمن، ديوان الوقف السني، بغداد، ٢٠٠٨م، ١٤.

- (٣٣) بدائع الزهور، ابن إياس، ج ٢، ٢٤٦.
- (٣٤) الخطط المقرنزية، المقرنزي، ج ٤، ٢٠٠؛ عصر سلاطين المماليك، محمود رزق سليم، (ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٥)، ج ٢، ١٦٧.
- (٣٥) المماليك في مصر، أنور زقلمة، ٢٧.
- (٣٦) دول الإسلام، الذهبي: محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: فهميم محمد وزميله، القاهرة، ١٩٧٤ م، ج ٢، ١٢٥.
- (٣٧) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ٥١٤.
- (٣٨) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: د. إبراهيم علي (الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م)، ج ١٩، ١٠٠؛ بدائع الزهور، ابن إياس، ج ٢، ٢٠٠.
- (٣٩) سيرة القاهرة، ١١٩؛ القاهرة تاريخها وآثارها، ١٧٦.
- (٤٠) الفضائل الباهرة في محاسن القاهرة، ٤٨؛ سيرة القاهرة، ١٩٩.
- (٤١) تاريخ الجبرتي، ج ١، ٦٤.
- (٤٢) شذرات الذهب، ج ٨، ١١٣؛ بدائع الزهور، ج ٣، ٥٨.
- (٤٣) شذرات الذهب، ج ٨، ١١٣. (٤٤) شذرات الذهب، ج ٨، ١١٥.
- (٤٥) حسن المحاضرة، ج ٢، ٢٤٣؛ سيرة القاهرة، ١١٩.
- (٤٦) حسن المحاضرة، ج ٢، ٩٤.
- (٤٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، ج ٦، ٧١؛ نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي، حرره فليب حتي، (المطبعة السورية الأمريكية، بيروت، ١٩٢٧ م)، ١٠٣؛ حسن المحاضرة، ج ٢، ١٢٢.
- (٤٨) الضوء اللامع، ج ٦، ٢٠١؛ شذرات الذهب، ج ٨، ٢٩؛ حسن المحاضرة، ج ٢، ١٢٢.
- (٤٩) شذرات الذهب، ج ٨، ٩؛ بدائع الزهور، ج ٢، ٢٩٧.
- (٥٠) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ٨٦؛ النور السافر في تاريخ القرن العاشر، عبد العريبي، ج ٧ و ٨، محرم وصفر ١٤٣٨ هـ، مج ٥٢

- القادر بن عبد الله العيدروسي، تحقيق: د. أحمد حالو وآخرون (دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م)، ٢١٩.
- (٥١) حسن المحاضرة، السيوطي، ج ٢، ٩٢؛ الشماريخ في علم التاريخ، السيوطي، ١٥.
- (٥٢) حسن المحاضرة، ج ٢، ٩٢.
- (٥٣) شذرات الذهب، ج ٨، ١١٣؛ النور السافر، ١٤؛ البدر الطالع، ج ٢، ٥٦.
- (٥٤) الممالك في مصر، أنور زقلمة، ١٩١-١٩٢.
- (٥٥) در الحبيب في أعيان حلب، ابن الحنبلي، طبع وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤م، ج ١، ق ٢، ٦٠٩.
- (٥٦) الممالك في مصر، أنور زقلمة، ١٠٤. (٥٧) م.ن: ١٠١.
- (٥٨) تاريخ أخذ مصر من الشراكسة، ابن زنبيل الرمال المحلي، طبعة بولاق، ١٢٨٧هـ، ١٣؛ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، محمد بن أحمد الغزي (ت ١٠٦١هـ)، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، (ط ١)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م، ج ١، ٢٩٤.
- (٥٩) بدائع الزهور، ج ٥، ٨٦؛ بلاد الشام ومصر، عبد الكريم رافق، دمشق، ١٩٦٨م، ط ١، ١٩.
- (٦١) شذرات الذهب، ج ٨، ١١٣؛ بدائع الزهور، ج ٣، ٥٨.
- (٦٢) البدر الطالع، ج ١، ٥٥؛ شذرات الذهب، ج ٨، ١١٣.
- (٦٣) بدائع الزهور، ج ٣، ٥٨؛ البدر الطالع، ج ١، ٥٥.
- (٦٤) بدائع الزهور، ج ٣، ٥٨. (٦٥) م.ن: ج ٣، ٥٨.
- (٦٦) شذرات الذهب، ج ٨، ١١٥؛ السنا الباهر، جمال الدين الشلي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٧م، ٢١٩.
- (٦٧) شذرات الذهب، ١١٥/٨. (٦٨) حسن المحاضرة، ١٢٠/٢؛ تاريخ ابن شهبة، ٣.
- (٦٩) حسن المحاضرة، ج ٢، ١٢٠.
- (٧٠) م.ن: ١٢٠.



- تصحيح التصحيف وتحريير التحريف، لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: أ. عبدالله المفلح، الرياض، كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ٧٦٤ صفحة.

يُعدّ هذا الكتاب من أكبر مؤلفات الصفدي في اللغة، وضعه للتنبيه إلى التحريفات التي طرأت على اللغة مما أبعدها عن منبعها الصافي، وذلك برصد لحن العامة وتطوره عبر مراحل تاريخية مختلفة.

ولم يكن الصفدي أول من ألف في هذا الفن، فقد سبق إليه، ووصل إلينا كثير من المؤلفات التي تعود للقرن الرابع وما يليه في رصد اللحن والتصحيف عند العوام، واعتمد المؤلف في كثير مما روى على ما وقع بين يديه من مؤلفات في التصحيف والتحريف، ولكنه لم يكتف بالنقل النصّي، بل هدّب العبارات ورّتب المواضيع، وكان له اعتراضات وتوضيحات واستشهادات على ما ينقل، وحفظ بهذا النقل جزءاً كبيراً من كتب مفقودة مثل كتاب "ما صحف فيه الكوفيون" للصولي، و"الأوراق" للضياء موسى الناسخ الأشرفي، وحفظ كذلك جزءاً كبيراً مما ضاع من كتاب "لحن العوام" للزبيدي.

وقد قدّم المحقق - رحمه الله - لهذا الكتاب بمقدمة طويلة ذكر فيها أحد عشر سبباً للتصحيح مفصلاً فيها وممثلاً عليها مما ورد في الكتاب، ثم ترجم للمؤلف الصفدي ولبعض شيوخه، وختم بملاحظات قيّمة على جهد الصفدي في كتابه. وكان قد رقم الفقر ليُلحق بالكتاب تخريجاً لكل فقرة على حدة، يليه الفهارس الفنيّة، وهو جهد عظيم أخذ كثيراً من وقت المحقق ليحفظ بذلك وقت الباحثين والقراء.

ع.ن.م

## إهداءات إلى مكتبة العربيه

### أولاً- الكتب:

- صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، إصدار داره الملك عبدالعزيز (٢٨٥)، ١٤٣٤هـ.
- التبر المسبوك في تاريخ معرفة الملوك، تأليف عمر بن أحمد بن محمد صالح الجيزاني الهاشمي، حققه وعلّق عليه عبدالرحمن محمد يحيى الرفاعي، إصدار داره الملك عبدالعزيز (٢٨٨)، ١٤٣٤هـ.
- خير الدين الزركلي: دراسة وتوثيق، أحمد إبراهيم العلاونه، إصدار داره الملك عبدالعزيز (٢٨٤)، ١٤٣٣هـ.
- المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر الميلادي: ريتشارد بايلي وايندر، راجع الترجمة وعلّق عليها د. فهد بن عبدالله السماري، إصدار داره الملك عبدالعزيز (٢٩٨)، ١٤٣٤هـ.

### ثانياً- المجلات:

- الفرقان، العدد ٧٥٩، ١٩ ربيع الأول ١٤٣٥هـ/٢٠/١/٢٠١٤م، رئيس التحرير: د. بسام الشطي.
- الفرقان، العدد ٧٦٠، ٢٦ ربيع الأول ١٤٣٥هـ/٢٧/١/٢٠١٤م، رئيس التحرير: د. بسام الشطي.
- أوراق نسبية، تصدرها الهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب التابعة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد الأول، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، رئيس التحرير: د. محمد جاسم حمادي المشهداني.
- الفرقان، العدد ٧٦١، ٢ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ/٣/٢/٢٠١٤م، رئيس التحرير: د. بسام الشطي.
- عيادة الجندي، العدد ٤٠، محرم ١٤٣٥هـ، رئيس التحرير: المقدم منصور بن عبدالله الحميدي.

